

منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

سلسلة السير والتراجم (7)



# المجاهد الشهيد
# عبد القادر بن مسعود الفيجي

## قائد إنتفاضة فزان ضد الإحتلال الفرنسي
## 1949

عيسى ابويوسف اللويشي

تأليف

د. صالح عطية الحطماني

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

2005

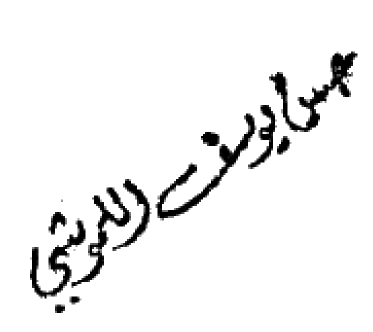
منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
سلسلة السير والتراجم (7)

# المجاهد الشهيد
# عبد القادر بن مسعود الفجيجي

## قائد انتفاضة فزان ضد الاحتلال الفرنسي
## 1949

تأليف
د. صالح عطية الحطماني

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
2005





**مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية**

**طرابلس ـ ليبيا**

رقم الإيداع : **2005/6747** دار الكتب الوطنية/ بنغازي

ردمك : **ISBN 9959-23-106-2**

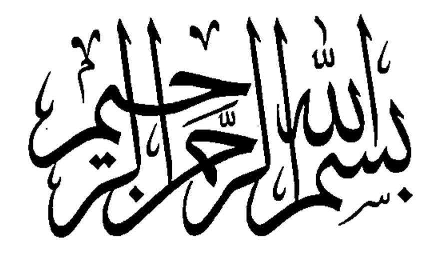
**الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب**

**بنغازي ـ ليبيا**

هاتف : **9090509 ـ 9096379 ـ 9097074**

بريد مصور : **9097073**

البريد الالكتروني : **nat- lib- libia @ hotmil.com**




## الإهــداء

أهدي هذا الكتاب

إلى ابني عبد القادر

الذي اخترت له هذا الاسم تيمناً وتبركاً بالمجاهد الشهيد

عبد القادر بن مسعود الذي عاش بين ظهرانينا زماناً

ثم رحل إلى حيث النبيين والصديقين والشهداء

وحسن أولئك رفيقا.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13)
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ
وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا
لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) ﴾

صدق الله العظيم

الكهف 13 - 14

# المقدمة

في مرحلة اتسمت بالجدب الثقافي الفكري والمناخي البيئي الذي تسربلت به منطقة فزان على وجه الخصوص دون باقي المناطق الليبية الأخرى، فأوجد فيها نتيجة لذلك جواً قاتم السواد حيث اجتمع فيها القفر المدقع مع الجهل المطبق برز المجاهد الثائر والفقيه المصلح عبد القادر بن مسعود الفجيجي، الذي آلي على نفسه إيقاظ هذه المنطقة من سباتها، وتحريرها من قيود غفلتها عن طريق الخطب التي كان يلقيها في الجموع التي كانت تفد عليه حيثما كان، وأينما نزل، بأسلوب يكفل لتلك الجماهير اليقظة بعد الغفلة والنهوض بعد طول سكون، ويحرك فيها الثورة على ذلك الواقع الأليم مستفيدا في خطبه مما في القرآن الكريم من آيات تحث على الجهاد وتدعو إليه وإن كانت مناطق ليبيا كلها قد عرف بها الكثير من الأبطال البارزين والرجال المصلحين والمجاهدين الصادقين، الذين حملوا مشاعل النور لتضيء الطريق أمام السالكين فجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل النهوض لمجتمعهم وتحرير بلادهم، والذين لا أستطيع أن أحصيهم في هذه العجالة لكثرتهم ـ والحمد لله تعالى ـ وخشية التقصير بعدم ذكر بعضهم، والذي يوقع في الخطأ غير المقصود، إذ لا فرق في نظري بين آحادهم، فهم جميعا قد بذلوا غاية المستطاع وفق ما توفر لكل واحد منهم من الإمكانات والاسباب التي مكنت البعض من الشهرة والظهور، وحرمت غيره من ذلك، فوجد الكثير منهم حقه في الدراسة والتعريف من قبل الباحثين المخلصين في هذا الوطن ـ جزاهم الله خير الجزاء ـ فأذاعوا ذكرهم وشهروا أسماءهم بما نشروه من كتب لاقت ما تستحقه من الترحيب والشكر من الناس أجمعين. غير أن هذا المجاهد الشهيد: عبد القادر بن مسعود ورفاقه لم يلق ما يستحقه من الدراسة والبحث فبقيت شخصيته وجهاده مجهولة لا يعلم العامة من أمرها شيئا ولا يعلم الخاصة عنها إلا أقل

من القليل بالرغم من أنه لا يقل في جهاده ومفاداته للوطن عن أعلام المجاهدين والقادة في هذه البلاد ولله در القائل:

سبحـــان مـــن قســم الحظـــوظ فـــلا عتـــاب ولا مـــلامـــة

وإن كنا لا نستنكر على المشهورين شهرتهم، بل نراه حقا لهم وواجباً على الباحثين فعله، ولا ننتقد أولئك الباحثين فيما قاموا به من جهود من أجل ذلك، بل لهم الشكر من كل أبناء وطنهم ونرى أنهم قاموا بأمر هو فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط وجوبه عن الآخـرين، وإنما نرمي بهذا البحث الذي نأمل أن يكون في مستوى تلك الدراسات إماطة اللثام عن شخصية هذا المجاهد قدر المستطاع.

هذا المجاهد الذي لم يحظ إلا بمقال واحد جاء مشوهاً وناقصاً كتبه: أبو بكر عثمان الحضيري في مجلة الشهيد التي تصدر عن مركز جهاد الليبيين في العدد السادس الصادر في أكتوبر 1985 م فوضع نفسه مع المجاهدين معه وهو طفل وقتئذ لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره لا لشيء إلا لأنه رافق المجاهدين أثناء قدومهم من وادي الآجال إلى سبها لتنفيذ هجومهم وتلك كانت فرصة سانحة له أن يعود معهم إلى أهله في سبها، ثم وضع جل أهله وأقاربه ضمن المجاهدين مع أن أحدا منهم لم يشارك في المعركة بعد معارضة الشيخ عبد الرحمن البركولي على هذا الهجوم، إلا ما ذكر أن حداد القرية آنذاك قد صنع للمجاهدين سيفاً. وإنما تم التحقيق معهم لعلمهم المسبق بهذا الهجوم وعدم تبليغهم للفرنسيين عن ذلك، فاعتبر الفرنسيون عدم الإخبار هذا جريمة يستحق فاعلها العقاب، ولا نعتب على هذا الكاتب على ما كتب فهو السابق وله فضل السبق، وإنما نتمثل في هذا المقام بالقول المعروف: إن التاريخ كما يوصف مزلة للأفهام ومزلقة للأقلام.

وإنما جاء بحثنا المتواضع هذا إظهاراً لجهود هذا المجاهد الشهيد ورفاقه خلال فترة الاحتلال الفرنسي لمنطقة فزان، وما قام به من أعمال تعلقت بتلابيبها الآمال، وكشفا أميناً إن شاء الله تعالى بقدر ما أسعفتني به المصادر والوثائق من الروايات

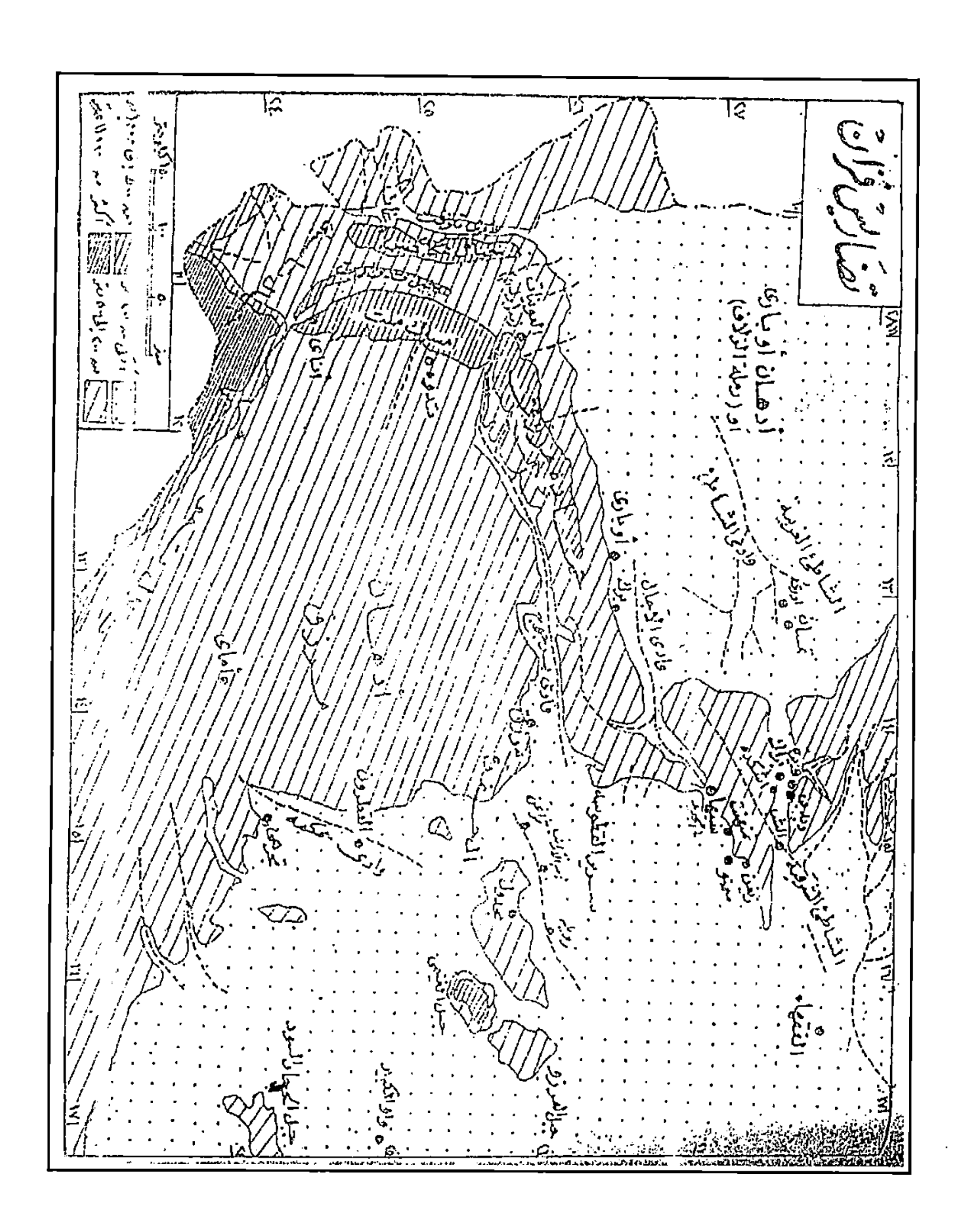
الشفهية من معلومات عن هذا الشهيد الذي أحسن لدينه ووطنه، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

وذلك بالاعتماد على الروايات الشفهية التي قام بها الباحثون بمركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي سنتي 1978 ـ 1979 جزاهم الله تعالى خيرا وجعل ذلك في ميزان حسناتهم ـ وإن كان قد ضاع بعضها ولعله ـ كما نقدر ـ أهمها، وعلى وجه الخصوص رواية الحاج أحمد قريش الحطماني، الذي توفي منذ اكثر من عشر سنوات ورواية الحاج الأمين ضو عطيه الحطماني، وهما من أبرز رفاق المجاهد ومن خلصائه الأدنين بمنطقة الشاطيء ولا منذوحة لهذا البحث في غياب الوثاق الكاملة لهذه الحادثة والمعلومات الوافية عنها بوفاة معظم شهودها، أو فقدهم القدرة في دراية ما يروونه بعد أن مضى على أحداثها أكثر من نصف قرن، ورفض وزارة الخارجية الفرنسية الإفراج عن الوثائق المتعلقة بالأحداث التي وقعت في تلك الفترة وتأجيل ذلك إلى سنة 2010 من أن يصدر بهذا الشكل حفاظا على هذه المعلومات من الضياع ورجاء أن يصدر بعد ذلك في طبعة أخرى إن شاء الله تعالى.

أما سبب اختياري لهذا الموضوع بالدراسة والبحث فهو التعلق النفسي بالمجاهدين والصالحين على حد قول الإمام الشافعي رحمه الله:

أحب الصالحين ولست منهم عساني أن أنال بهم شفاعة
وأكره مَنْ بضاعته المعاصي وإن كنا سواء في البضاعة

وأسأله تعالى التوفيق والتسديد.



# توطئة

# جغرافية فزان وتاريخها

لا يعنينا في هذا المقام التعرض لمعنى اسم فزان، وسبب إطلاقه على هذا الإقليم، هل جاء من اسم قائد روماني استولى على هذا الإقليم قبل الميلاد ـ أم أنه اسم لأحد أحفاد حام بن نوح ـ عليه السلام ـ؟ أم أنه اسم عربي أطلق على هذا الإقليم بعد الفتح الإسلامي ـ أم أنه قد اشتق من كلمة (تافسانا) ذات الاصل الطارقي ـ التي تعني الحافة. لكثرة الحافات التي تميز مظاهر سطح فزان.

ذلك لان الدخول في هذا الموضوع سيبتعد بنا عن المطلوب، الذي يعنينا في هذا المقام، وهو تحديد جغرافية فزان، والحديث بإيجاز ـ إن شاء الله تعالى ـ عن تاريخها.

## أولاً: جغرافية فزان[1]:

يقع إقليم فزان في الجزء الجنوبي الغربي من ليبيا. أي في المنطقة المعروفة في جغرافية أفريقيا بالصحراء الكبرى، ذات المناخ الصحراوي، شديد الحرارة صيفاً، وشديد البرودة شتاءً.

فإقليم فزان يشمل منطقة شاسعة تقدر مساحتها بنحو 45,000 كم2، حيث يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 700 كم ومن الجنوب إلى الشمال 500 كم، ويحدها

---

(1) أنظر: جغرافية فزان جمال الدين الدناصوري دار بنغازي ليبيا د. ت وقرآن ومراكزها الحضارية أبو بكر عثمان القاضي مركز شؤون الصحراء دار المحيط بيروت لبنان د. ت.

من الشمال الحمادة الحمراء وجبل السوداء، ومن الجنوب جبال تبستي، ومن الشرق جبال الهروج وجبل بن غنيمة، ومن الغرب الحدود الفاصلة بين القطرين الشقيقين ليبيا والجزائر.

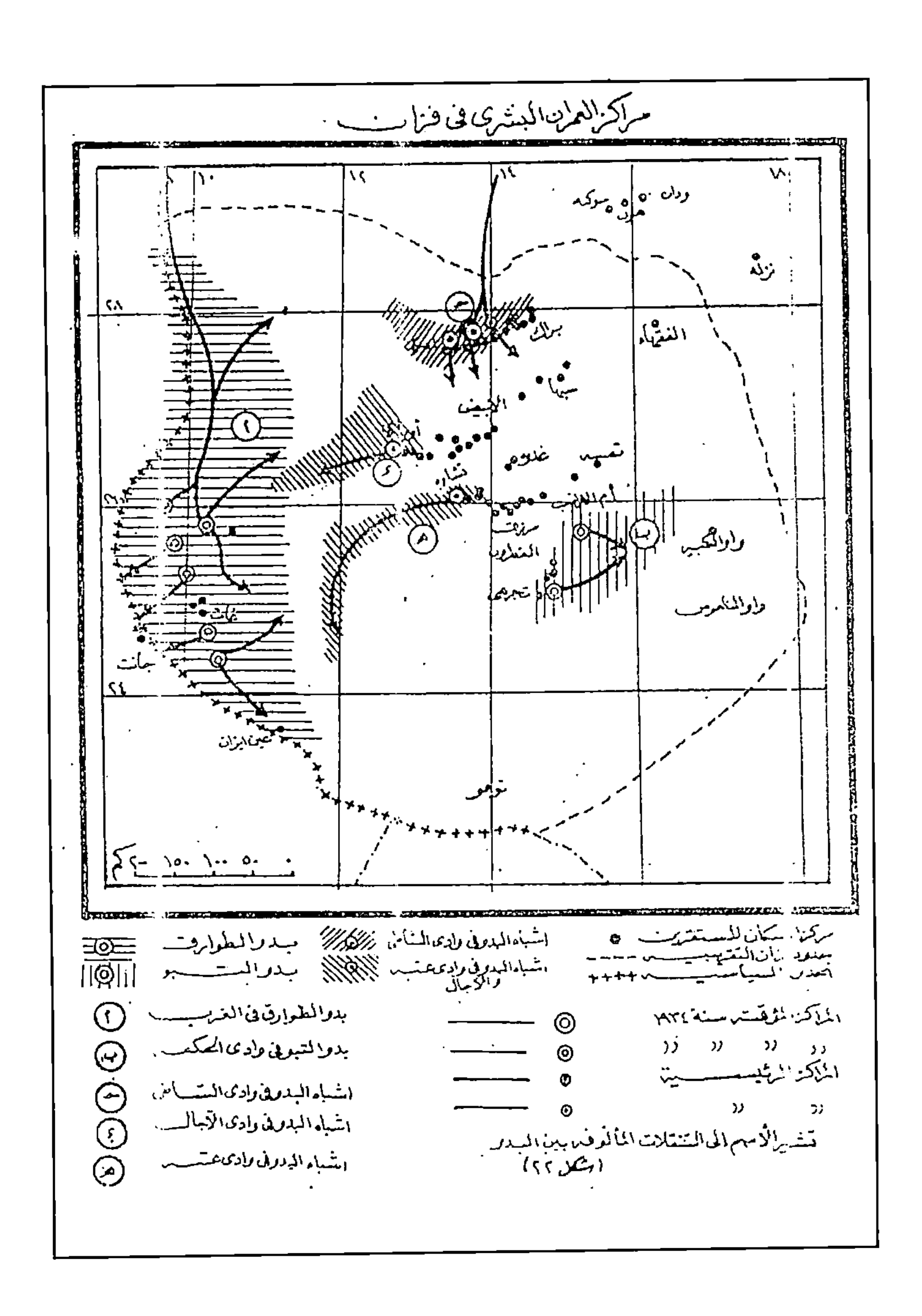
وقد أدى موقع فزان الجغرافي هذا، وتوافر المياه، وموارد الإنتاج الزراعي فيها، إلى اجتذاب طرق القوافل، بحيث أصبحت فزان ملتقى لهذه الطرق منذ أقدم العصور، فكانت تلك القوافل تحمل عروض التجارة قادمة تارة من السودان عن طريق بورقو، وتارة من تشاد مارة بكوار، وأحيانا من أقدس قاصدة غات، ثم تعبر واحات فزان في طريقها إلى الساحل، الذي ينحني في منطقة خليج سرت، ليختصر الطريق بين قلب القارة الأفريقية وساحل البحر الأبيض المتوسط.

إلى جانب هذا الموقع الجغرافي المناسب شاءت الظروف الطبيعية أن تخلو الجهات الواقعة شرق فزان حتى وادي النيل من مناطق العمران، حيث تسود الهضاب الصخرية الجرداء، والكثبان الرملية، ومسطحات الحصى الوعرة التي يصعب اجتيازها، كما تندر بها موارد المياه، لذلك يصعب على القوافل اختراقها لوعورتها.

وكذلك البقاع الواقعة غرب فزان، فإنها مناطق قليلة الواحات تتخللها عروق ضخمة من الرمال الفاصلة، علاوة على أنها تبتعد كثيرا عن ساحل البحر الأبيض المتوسط، مما يضاعف على تلك القوافل وعثاء السفر وعناء المسافر.

كل ذلك قد جعل من فزان موقعاً متميزاً ومهماً لطرق القوافل، ومورداً اقتصادياً كبيراً من تلك التجارة.

ويتكون سطح إقليم فزان من حوض كبير الاتساع، وينقسم هذا الحوض عموماً إلى حوضين رئيسيين، تفصل بينهما هضبة صخرية، هي حمادة مرزق، ويخترق كل حوض منهما عدداً من الأودية التي تمتد عموماً في اتجاه الجنوب الغربي، والشمال الشرقي وفي هذه الأودية تتجمع أهم مظاهر النشاط البشري بسبب وفرة المياه الجوفية



بها، وأهم هذه الأودية من الشمال إلى الجنوب:

1. وادي الشاطيء: الذي يمتد من الغرب إلى الشرق، وتحده الحمادة الحمراء من الشمال ورملة الزلاف من الجنوب، والحدود الجزائرية من الغرب، وجبال السوداء من الشرق. ويبلغ طول وادي الشاطيء حوالي 150 كم، وأما اتساعه فيتراوح بين 10 و 20 كم، وتمثل رمال الزلاف التي تقع موازية له من جهة الجنوب مورداً اقتصاديا مهما، إذ يوجد بها عدد كبير من أشجار النخيل (البعلي) يبلغ نحو عشرة آلاف شجرة نخيل.

ويشمل هذا الوادي عدداً كبيرا من المدن والقرى، وهي من الشرق إلى الغرب: أشكده، دبدب، قيرة، براك، الزوية، ققم، قصر الشنينات، تامزاوة، حي المشاشية، أقار، العزمة، محروقة، الرأس، العيون، القرضة، الديسة، تاروت، عين المشاشية، قطة، برقن، قصر التماتمة، القلة، أبو قدقود، قصر العرايسية، الزهراء، ونزريك، الحطية، تمسان، المنصورة، إدري.

2. وادي الآجال (وادي الحياة): وهو يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، ويقع موازيا تقريبا لوادي الشاطي، حيث تفصلهما كثبان رمال الزلاف، التي تحده من جهة الشمال، وتحده من الجنوب سلسلة من المرتفعات، حيث حماده مرزق. ويبلغ طوله حوالي 220 كم، ويمكن تقسيم هذا الوادي إلى قسمين متساوين تقريباً هما: الوادي الغربي، الذي يقع في الغرب، والوادي الشرقي الذي يقع في الشرق، ويلتقي هذان القسمان في وسط الوادي الذي يضيق في هذا الموضع بحيث يظهر على شكل عنق زجاجة، وينحدر من الوادي الغربي وادٍ كبير يطلق عليه اسم مكنوسة.

وتتبع هذا الوادي بحيرات مالحة تقع في رملة الزلاف أشهرها: مندرة وقبرعون والطرونة، وهناك أربع بحيرات صغيرة هي : بو الحصان وأم الماء ونشنوشة وفريدغة وهي أماكن سياحية ممتازة يرتادها السائحون من أنحاء العالم

كافة بالإضافة إلى مدينة جرمة الأثرية.

ويختلف وادي الآجال عن وادي الشاطيء في عدم وجود عيون ماء جارية، ومع ذلك فإن به طبقة غنية جداً بالمياه الحلوة قريبة من سطح الأرض، وتقع في وادي الآجال مجموعة من المدن والقرى من الغرب إلى الشرق: أوباري، الديسة، الحطية، القعيرات، الغريفة، جرمة، توش، ابريك، تويوة، الخرائق، قراقرة، تكركيبة، الفجيج، القراية، الرقيبة، التناحمة، بنت بيه، الزوية، القلعة، اخليف، الحمرة، بن حارث، الأبيض.

3. وادي البوانيس: ويقع شمال شرقي وادي الآجال، بل يعتبر امتداداً له، وجنوب شرق وادي الشاطي، وتقع فيه مدينة سبها، وقرى تمنهنت والزيغن وسمنو.

4. وادي الحفرة: وهو يمتد نحو الشمال الشرقي والجنوب الغربي، ويقع إلى الجنوب من وادي الآجال.

وهو منخفض كبير يطلق عليه اسم أدهان مرزق أو رملة مرزق، يحده من الشمال سرير القطوسة ومن الجنوب رملة مرزق، وبداية هذا الحوض هي المنطقة التي يلتقي فيها وادي برجوج بوادي عتبة فهو محصور بين سرير القطوسة في الشمال، وهضبة مجدول في الجنوب، ويبلغ اتساعه من الشمال إلى الجنوب نحو 40 كم، وتوجد به مجموعة من المدن والقرى هي: مرزق، تساوة، أم الحمام، الزويتينة، أم الأرانب، مجدول، حميرة، زويلة، تراغن، غدوة، دليم، حج حجيل، السبيطات، تقرطين، أقارعتبه، فنقل.

5. وادي حكمة: الذي يقع في أقصى الجنوب من أودية فزان، ويمتد من الشمال إلى الجنوب، وتبدأ منطقة وادي حكمة في الشمال عند جبل مجدول ثم تواصل امتدادها نحو الجنوب لتضم المنحدرات الغربية لجبل بن غنيمة، ثم منطقة السرير التي تبدأ شمال قارة دباسة، تستمر إلى الجنوب عند الواطية كيو.

ويتكون سطح هذا الوادي في جملته من مساحات واسعة من السرير الذي يختلط في بعض الأماكن بالرمال، ويعتبروادي حكمة من أفقر أودية فزان في المياه الصالحة للشرب والزراعة.

وتقع في هذا االوادي مدن وقرى أهمها: القطرون، تجرهي، والويغ.

6. وادي تنـزيفت: وهو يقع في وسط مجموعة جبال تاسيلي، ويقع على حافة صحراء تايتا، قرب حافة مرتفعات تادرات.

وكما هو الحال في أودية فزان الأخرى، توجد في هذا الوادي طبقة غنية بالمياه الصالحة للشرب والزراعة، تخرج منها المياه في بعض الأماكن في شكل عيون جارية، وفي بعضها الآخر تحفر آبار قليلة العمق.

وتقع في هذا الوادي مجموعة من المدن والقرى أهمها: غات ـ والبركت، والعوينات.

## ثانياً: نبذة عن تاريخ فزان[1]:

من الثابت تاريخياً أن منطقة فزان كانت مأهولة بالسكان قبل الميلاد بقرون كثيرة، أي منذ العصر الحجري القديم، يدل على ذلك النقوش المكتشفة في جبال (أكاكوس) غير أن معرفة المؤرخين لها، والكتابة عنها لم تبدأ إلا في القرن الثالث قبل الميلاد، حين كتب عنها المؤرخ اليوناني الشهير (هيرودوت) والذي كان مبعثه في الكتابة عنها تلك الحروب التي كانت تدور بين المستعمرات الرومانية على الساحل الليبي، وحضارة الجرمنتين، وإذا كان (هيرودوت لم يتعرض لأصل الجرمنتيين ولا

---

(1) انظر: تاريخ فزان مصطفى خوجه ت حبيب وداعه الحسناوي منشورات مركز جهاد الليبيين 1979 م وفزان ومراكزها الحضارية أبو بكر عثمان القاضي.

غيره من المؤرخين، ولم يذكروا من أي مكان قدم الجرمنتيون إلى فزان، فإنها ذكرت أنهم شعب كثير العدد، استقر في فزان التي تشتمل على مناطق زراعية خصبة تشتهر بالنخيل.

وأن الجرمنتيين الذين نسبت حضارتهم إلى عاصمتهم (جرمه) التي مازالت آثارها باقية إلى اليوم في وادي الآجال، قد أسسوا حضارة حكمت فزان واستقلت بها، وأن هذا الشعب يتصف بالبطولة وقوة الشكيمة، وأن أصلهم يرجع إلى الجنس الاسود، ثم اختلطوا بعد ذلك بالعناصر الشمالية.

وقد كانت لهم حضارة متقدمة، وكانت لهم ـ بدون شك ـ اتصالات تجارية مع دولة الفراعنة المعاصرة لهم في وادي النيل عبر طريقين بريين ذكرهما (هيرودوت) في وصفه الشهير لأهالي ليبيا، أحدهما: من منخفض الفيوم إلى مملكة الجرمنتيين، والآخر: أكثر وعورة، يمتد من واحات الداخلة والكفرة وواو إلى قلب فزان.

كما كانت لهم صلات تجارية مع الفينيقيين الذين استقروا على السواحل الأفريقية والقرطاجنيين من بعدهم. أما علاقاتهم مع الرومان الذين احتلوا الساحل الليبي فقد كانت في حرب مستمرة، كان فيها الانتصار والاندحار بين الطرفين متداولاً.

فقد شارك الجرمنتيون في الحروب بين أويا ولبدة، حين استنجدت بهم أويا في حربها على لبدة فيما بين سنتي 24 ـ 17 قبل الميلاد، كما استطاع الجرمنتيون صد حملتين قام بهما الرومان لاحتلال فزان، الأولى سنة 19 قبل الميلاد، والثانية سنة 37 م، وتوجد إلى الآن أنفاق مغطاة في بعض قرى وادي الشاطيء، ونقوش على جبالها، وقبور في سهول تلك الجبال، تدل على أن هذه المنطقة كانت مسرحاً لبعض تلك المعارك.

واستمر حكم الجرمنتيين لفزان حتى الفتح الإسلامي في منتصف القرن الميلادي

السابع، هذا الفتح الذي تم لفزان في الحملتين الاسلاميتين الأولى والثالثة وبقيادة كل من القائدين الشهيرين: عقبة بن نافع الفهري، وبشر بن أبي أرطأة، حيث فتح عقبة بن نافع مدينة زويلة سنة 22 هـ ( 641 م) والحملة الثانية التي قادها بشر بن أبي أرطأة وفتح بها ودان سنة 23 هـ (642 م) غير أن أهل فزان نقضوا العهد، وارتدوا عن الإسلام، فجهز لهم عقبة بن نافع الحملة الثالثة سنة 49 هـ ( 669م) الذي فتح ودان للمرة الثانية، وتذكر المصادر التاريخية أنه سأل أهلها، هل من ورائكم أحد ـ فقيل له: جرمة وهي مدينة فزان العظمى، فسار إليها من ودان، فلما دنا منها أرسل إلى أهلها يدعوهم إلى الاسلام فأجابوا، وخرج ملكهم يريد عقبة، فأرسل عقبة خيلاً حالت بينه وبين موكبه، وأمشوه راجلاً حتى اتى عقبة وقد تعب، وكان ناعماً، فجعل يبصق الدم، فقال لعقبة لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً؟ فقال له عقبة: أدباً لك إذا ذكرته لم تحاربنا.

وبعد فتح مدينة جرمة توجه عقبة بن نافع جنوباً إلى النيجر، حيث فتح قصر خاوركاوار ثم فتح باقي الحصون حتى وصل إلى نهر النيجر، ثم رجع عن طريق القطرون إلى زويلة ثم عاد إلى معسكره في سرت بعد غياب دام خمسة أشهر. وبهذا الفتح بقيت فزان تابعة للشمال تحت الحكم الاسلامي، ويدير شؤونها المحلية ملوك من فزان، غير أن المصادر التاريخية لم تذكر عنهم شيئا، مما أعتبر فترة غموض في تاريخ فزان مدة ثلاثة قرون، إلى أن تمكنت أسرة بني الحطاب ـ من بداية القرن العاشر إلى نهاية القرن الثاني عشر ـ من تأسيس حكومة استطاعت الاحتفاظ باستقلال فزان.

وبنو الحطاب، كانوا يمارسون التجارة مع زويلة، ويملكون القوافل التجارية الكبيرة فيها، وكان عبد الله بن الخطاب، مؤسس هذه الدولة عاملاً للمنصور بن بلكين الحفصي، حيث كانت فزان في ذلك الوقت تابعة للدولة الحفصية، وبعد وفاة المنصور بن بلكين سنة 386 هـ (996 م) استقل عبد الله بن الخطاب بالحكم في فزان وأسس فيها دولة عرفت بدولة بني الخطاب، واتخذ

مدينة زويلة عاصمة لها، وهي مدينة من أقدم مدن فزان، ويوجد بها قبور بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الذين استشهدوا أثناء الفتح الإسلامي.

وقد كانت لبني الخطاب علاقات تجارية مع الحفصيين المعاصرين لهم على الساحل الشمالي، واستمر حكم بني الخطاب فزان نحو ثلاثة قرون، حتى سقطت دولتهم على يد المغامر الأرمني (قراقوش) الذي استولى على عاصمة دولتهم، وأسر آخر ملوكهم (محمد بن الخطاب) وعذبه حتى الموت، سنة ٥٦٨ هـ (1172 م).

وبسقوط مملكة بني الجطاب أصبحت فزان بدون حكومة، فتوسع نحوها ملوك برنو (كانم) بعد أن بلغهم نهاية (قراقوش) على يد (يحيى بن الميورقي) نصير الحفصيين، فاستولى ملوك كانم على فزان وجعلوا مدينة تراغن عاصمة لنائبهم في فزان، ووسعوا ملكهم فيها حتى شمل كل المساحة التي كانت تخضع للجرمنتيين تقريبا.

استمر حكم ملوك كانم لفزان حتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حيث ظهر الخرمان في وادي الآجال (وادي الحياة) واستقلوا بالحكم في فزان عن مملكة كانم، واتخذوا مدينة جرمة عاصمة لهم، ثم بسطوا نفوذهم على معظم مناطق فزان من زويلة شرقاً حتى سوكنة شمالاً ولكن بسبب المعارك التي دارت بينهم وبين الطوارق على حكم غات وغدامس ضعفت دولة الخرمان، وأصبحت فزان في حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني الأمر الذي مهّد الطريق إلى ظهور أسرة أولاد محمد الفاسي، الذين أسسوا دولة في فزان من سنة 1550 م إلى سنة 1812 م واتخذت مدينة مرزق عاصمة لها.

ويرجع أصل هذه الأسرة إلى مدينة فاس بالمغرب، وقد كانت لهم تجارة بين المشرق والمغرب، واستطاعوا من خلالها، ونتيجة لتلك الظروف أن يؤسسوا دولة لهم في فزان سنة 957 هـ (1550م) وكان مؤسس هذه الدولة يدعى محمد الفاسي، الذي جعل نظام الحكم في دولته وراثياً في أسرته.

وبعد وفاته خلفه ابنه الناصر بن محمد الفاسي الذي ازدهرت فزان في عهده، وانتشر فيها الأمن وعمّ فيها الرخاء، وصارت مرزق عاصمة الدولة مركزاً تجارياً مهماً.

ثم تولى الحكم بعد وفاته ابنه المنتصر، الذي كان ضعيفاً، ولم يكن في مقدرة والده الناصر، إذ سرعان ما دبّ الخلاف بين أفراد الاسرة على الحكم، فتزامن هذا الضعف والفوضى بين أسرة أولاد محمد مع شغب الجند العثماني في طرابلس، فأراد الوالي العثماني على طرابلس في ذلك الوقت، وهو (يحيى باشا التركي)، أن يخلص مدينة طرابلس من شرورهم، فأغراهم بمهاجمة فزان، خاصة أن خود بنت شارومة زوج المنتصر قد راسلت الترك ووعدتهم بملك فزان وبالعطاء الجزيل إن وصلوا إليها.

وبذلك استولى الترك على سبها بعد قتل خود وتوجهوا إلى مرزق واستولوا عليها سنة 985 هـ (1578 م) التي كان يحكمها الناصر بن المنتصر، الذي تولى الحكم بعد وفاة والده كمداً لما فعلته به زوجه خود.

وفرّ الناصر بن المنتصر إلى كشنة[1] بأرض السودان، فجعل الأتراك على فزان عاملاً منهم يدعى (مامي التركي)، وبذلك ألحقت فزان إدارياً بالحكم التركي المباشر في طرابلس.

غير أن ذلك لم يدم طويلا، حيث ثار أهل فزان على (مامي التركي) ومن معه وقتلوهم سنة 990 هـ (1582 م) وارسلوا إلى الناصر بن المنتصر في كشنه فقدم عليهم وبايعوه وتولى الحكم إلى سنة 1008 هـ.

وبعد وفاته تولى الحكم بعده ابنه المنتصر بن الناصر ابن المنتصر، الذي امتنع عن دفع الخراج إلى الوالي العثماني في طرابلس (سليمان ضاي) سنة 1020 هـ

---

(1) مدينة كشنه تقع في الجنوب الشرقي من النيجر.

(1611 م) فجهز له حملة التقت بجيش المنتصر في (أم العبيد) فقُتِل المنتصر، وفرّ أخوه الطاهر إلى مملكة كانم، واستولى الأتراك على فزان، وجعلوا عليها حاكما تركيا هو (حسن النعال) الذي استمر في الحكم إلى سنة 1022 هـ (1613 م) حيث ثار عليه أهل فزان، وأرسلوا إلى الطاهر الذي قدم عليهم وبايعوه فتولى الحكم إلى سنة 1032 هـ (1622 م) وحين امتنع عن دفع الخراج في عهد (رمضان ضاي) الوالي التركي على طرابلس، الذي وجّه إليه حملة، فلما سمع بها الطاهر فرّ إلى برنو، وكان سلطانها حينذاك (عمر المقدسي) الذي أغرقه، في بحيرة تشاد، وجعل الأتراك على فزان (أحمد بن هويدي الخرماني الذي استمر في حكم فزان من قبل الأتراك إلى سنة 1036 هـ (1626 م) حين رجع محمد بن جهيم من مملكة كانم بناء على طلب من أهل فزان، ولما سمع الخرمان بمقدمه، استعدوا لمقاتلته فانتصر عليهم في بلدة حميرة ثم استولى على الحكم في مرزق على أثر الصلح الذي عقد بينه وبين الترك، وبقي في الحكم إلى أن توفي سنة 1069 هـ (1658 م) فتولى ابنه جهيم الحكم وبقي فيه إلى أن توفي سنة 1093 هـ (1682 م) فتولى ابنه النجيب محمد بن جهيم الحكم، ولما رفض دفع الخراج وجّه إليه (حسن باشا عبازة) حملة بقيادة (مراد باي المالطي) فالتقى الجيشان في بلدة (دليم) وبعد هزيمة محمد جهيم في المعركة حدث بينهما صلح مفاده استمرار محمد جهيم في دفع الخراج، واستمر على ذلك إلى أن امتنع عن الدفع سنة 1101 هـ (1689 م) فوجّه إليه (محمد باشا شايب العين) حملة بقيادة (يوسف باي)، الذي قتل محمد جهيم، وأسر محمد الناصر، وولى على حكم فزان (علي المكني) غير أن أهلها قد ثاروا عليه وقتلوه، بعد خمسة أشهر، فأطلق (محمد شايب العين) سراح محمد الناصر، وأعطاه الولاية على فزان، على أن يدفع الخراج، واستمر على ذلك إلى سنة 1128 هـ (1715م).

ومما يلاحظ على حكم أولاد محمد، أنهم كانوا يحكمون فزان، ويدفعون الضرائب للوالي التركي في طرابلس، وعندما يمتنعون عن الدفع يوّجه إليهم حملة عسكرية تكون نتيجتها إما عقد صلح يُلزم أولاد محمد بدفع تلك الأتاوة التي يسمونها

(الخراج)، وإما استيلاء الأتراك على الحكم وتعيين نائب لهم في فزان، وفرار أولاد محمد إلى مملكة كانم والاستنجاد بها في استعادة حكمهم على فزان، فهم بذلك قد جمعوا بين تبعية دولتين متناقضتين في وقت واحد، إحداهما في الشمال وهي الحكومة التركية في طرابلس التي يدفعون لها الأتاوات مقابل بقائهم على حكم فزان، والأخرى في الجنوب، هي مملكة كانم، التي تحس تبعيتهم لها فتعيد لهم الحكم إذا انتزعته منهم الحكومة التركية. واستمر هذا الوضع مع القرمانليين حتى سنة 1226 هـ (1811 م) حين قضى (يوسف باشا) عليهم عندما امتنع محمد الشريف عن دفع الضرائب التي كان يدفعها له فجهز (يوسف باشا) حملة عسكرية بقيادة (محمد المكني) الذي استطاع القضاء على دولة أولاد محمد، وصار حاكما على فزان باسم القرمانليين.

ثم استقل (محمد المكني) بالحكم في فزان، غير أنه أرهق أهلها بكل نوع من الإرهاق، فثار في وجهه سنة 1246 هـ (1830 م) عبد الجليل بن غيث سيف النصر، شيخ قبيلة أولاد سليمان، فاستولى على كل من سوكنة ومرزق بمساعدة قبائل ورفله وغيرها من القبائل، وبذلك تمكن من السيطرة على الحكم في فزان، وهذه الفترة هي التي نزحت فيها قبيلة الحطمان من مزده إلى فزان بعد هزيمتهم أمام قوات الأتراك في معركتي الحميرة وبئر الكلاب اللتين قتل فيهما الأتراك المئات من أبناء هذه القبيلة.

غير أن عبد الجليل سيف النصر لم يتوقف عن مهاجمة الأتراك، بسبب رغبته في تحرير باقي الأراضي الليبية فشن غارات متكررة على القوات التركية في كل من تاورغاء وزليطن سنة 1258 هـ (1842 م).

وحاول التقدم إلى سرت، فحشد له الأتراك جيشا كبيراً بقيادة (حسن البلعزي) أسفرت المعركة بينهما عن رجوع عبد الجليل، فحاصره (البعلزي) سبعة أيام في قارة مازالت تعرف بقارة عبد الجليل قرب بئر البغلة قرب بونجيم، حتى أنهكه الجوع

والعطش فقُتِل عبد الجليل وأخوه سيف النصر، وولدان لسيف النصر، وفرّ من المعركة ولده الثالث محمد سيف النصر.

وبوفاة عبد الجليل سيف النصر خضعت فزان إلى الحكم التركي مرة أخرى، فجعلوا فزان متصرفية واحدة، عاصمتها سبها، واتخذوا من قلعتها الشهيرة مقراً للإدارة[1]، ثم قسّموا هذه المتصرفية إلى أربع قائمقاميات هي: مزرق والشاطيء وسوكنة وغات، ثم قسموا كل قائمقامية إلى نواح ومديريات.

واحتفظت تركيا بوضع يدها على فزان، وعندما غزت إيطاليا الشواطي الليبية، ووصل خبر الغزو الإيطالي إلى فزان، خرج عدد كبير من المجاهدين من كل قبيلة وقرية، وشاركوا جنباً إلى جنب مع إخوتهم المجاهدين الذين اجتمعوا من كل المناطق والجهات فشاركوا في معارك سواني بني آدم وفندق التوغار والعزيزية وغيرها.

وعندما عقدت تركيا مع إيطالية اتفاقية أوشي لوزان في 1912/10/18 م والتي تم بموجبها تنازل تركيا عن حكم ليبيا إلى المستعمر الجديد القوات الإيطالية، الأمر الذي جعل إيطاليا تحرك قواتها، بقيادة المقدم (مياني) من سوكنة في 1913/12/6 م نحو براك، وعلى أثر معارك نضالية وقعت في الشب وأشكدة، ثم الموقعة الكبيرة المشهورة بموقعة قارة محروقة التي وقعت في 1913/12/23 م وقاد المجاهدين فيها الشهيد محمد عبد الله البوسيفي، واستشهد في هذه المعارك عدد كبير من المجاهدين، واستولت القوات الإيطالية بعدها على فزان، حيث تم احتلال آخر معاقل المجاهدين في مرزق في 1914/3/3 م، واتخذت القوات الإيطالية من قلعة سبها المنعزلة تماماً والأكثر ارتفاعاً عن الأرض المجاورة لها، ملاذاً تكتيكيا ذا قيمة

---

(1) وهي قلعة تقع على ربوة عالية يتربع على رأسها قصر قديم وحصن منيع ويوجد في وسطه بئر ماء يدل على عظمة مؤسسه الأول ويشرف القصر على مداخل سبها من أغلب الجهات وتقع هذه القلعة في الجنوب الشرقي لمدينة سبها (أنظر فزان ومراكزها الحضارية ص 73).

عسكرية، فهي تشكل حصناً لا يمكن اقتحامه من قبل المجاهدين، حسب اعتقادهم، لأن هؤلاء المجاهدين لا يملكون الأسلحة بعيدة المدى كالمدافع. غير أن هذا الاحتلال لم يدم أكثر من عام، إذ تمكن المجاهدون بقيادة سالم بن عبد النبي الزنتاني من مهاجمة قلعة سبها وتحريرها في 1914/11/27 م، ثم تقهقرت القوات الإيطالية وانسحبت من براك في 1914/12/10 م وانسحبت بعد ذلك من الجفرة في 1915/1/27 م فاستفادت تركيا من هذه الانتصارات الباهرة التي حققها المجاهدون فعادت إلى حكم فزان، إذ أرسلت إليها حاكما يدعى (ثاقب) الذي استطاع الاستيلاء عليها بمساعدة السنوسيين، دون أن يلاقي أية مشقة. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، واستدعاء تركيا قواتها من ليبيا سافر مندوبها (ثاقب) من فزان، وبقي الإقليم في يد سكرتيره (خليفة الدعيكي) الذي يعرف باسم (خليفة زاوية)، والذي تمت هزيمته بعد ذلك في معركة (زويتينة) من قبل المجاهدين بقيادة عبد الجليل سيف النصر وعبد النبي بالخير، فاستسلم (خليفة زاوية) في مرزق، ثم قدَّم نفسه إلى قائد القوات الإيطالية (غراتسياني) في غريان أواخر سنة 1926 م.

وبذلك استقلت فزان عن الحكم الإيطالي نحو خمسة عشر عاماً حتى عادت إليها بقيادة جزار فزان (غرتسياني) فيما يعرف في تاريخ الجهاد الليبي بحملة إعادة احتلال فزان، حيث تحركت القوات الإيطالية من الجفرة في 1929/10/20 م، فاحتلت براك في 1929/12/5 م ومنها اتجهت إلى سبها التي أعيد احتلالها في 1929/12/14م، ووصلت إلى غات في أقصى جنوب ليبيا سنة 1930 م ورحلت مجموعات المجاهدين الليبيين مهاجرة إلى الجزائر وتونس والنيجر وتشاد، حيث وصلت المجموعة المهاجرة إلى الجزائر بقيادة عبد النبي بالخير، الذي قضى نحبه عطشاً في صحراء الجزائر، بعد أن استلمت القوات الفرنسية أسلحتهم في مركز (تارات) تطاردهم القوات الإيطالية إلى الحدود، كما وصلت المجموعة الثانية بقيادة أحمد سيف النصر وأخيه عمر إلى تشاد حيث استلم الفرنسيون أسلحتها عند الحدود.

وبقيت فزان شأن كل الأراضي الليبية تحت الاحتلال الإيطالي إلى سنة 1942م، حيث تمت هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، على يد ما يعرف بقوات (الحلفاء) بريطانيا وفرنسا اللتين اقتسمتا المستعمرات الإيطالية، فاحتلت القوات البريطانية برقة وطرابلس، وتقدمت القوات الفرنسية نحو فزان على محورين: المحور الأول من جنوب الجزائر عبر غدامس، وكان معظم جنودها من المجندين الجزائريين (الشعانبة)، والمحور الثاني من شمال تشاد والنيجر عبر جبال تبستي ثم غات والقطرون إلى باقي نواحي فزان، معهم بعض الليبيين الموجودين في تلك البلاد بقيادة أحمد سيف النصر، وبطلب من (إدريس السنوسي)[1] فيما عُرف بقوات تحرير ليبيا.

وعندما استولت فرنسا على فزان، قسمتها إلى ثلاثة أقسام، وجعلت كل قسم يتبع إقليما من مستعمراتها، حيث وضعت غدامس تابعة لجنوب تونس، ومركزه قابس، وأما غات فكان يديرها حاكم جنوب الجزائر، ويحكم باقي نواحي فزان (الشاطي وسبها ومرزق وأوباري) حاكم عسكري، يعينه وزير الداخلية الفرنسي بالاتفاق مع وزير الحربية الفرنسي، ويرأس القوات العسكرية في المنطقة، بالإضافة إلى مسئوليته الإدارية، ويعتمد على الحاكم العام الفرنسي في الجزائر.

وكان هذا الحاكم يباشر أعماله عن طريق المشائخ والمديرين، الذين أوكل إليهم مهمة جمع الضرائب، وفض المنازعات، كما أعادوا اللقب التركي القديم (متصرف) إلى أحمد سيف النصر، الذي عاد مع القوات الفرنسية من تشاد، واستلم منها الممتلكات التي صودرت منه أثناء الحكم الإيطالي، ورشحته السلطات الفرنسية ليكون أول حاكم لإقليم فزان، لثقتها به وولائه لها[2]، وقد عاشت فزان تحت الاحتلال الفرنسي سنوات فقر وجوع وظلم لازال أهل فزان يذكرونها بكل أسى

---

(1) أنظر: محطات من تاريخ ليبيا (مذكرات محمد عثمان الصيد) أعدها للنشر طلحه جبريل للنشر. تصفيف وإخراج ـ طوب- للاستثمار والخدمات ـ الرباط ـ ط 1 ـ 1996 م ص27.

(2) أنظر استقلال ليبيا سامي حكيم مكتبة الانجلو المصرية ط 2 ـ 1970 م ص 103 ـ 104.

وحزن، حيث جف الضرع وقل الزرع وعم الظلم، ومن مظاهر هذا الظلم أن الفرنسيين "أعدموا مالا يقل عن مائة وخمسين رجلاً، ينتمون لمختلف الجهات، بمجرد أن يتبادر إلى ذهنهم أن لديهم نزعة وطنية، أو يملكون سلاحاً، وكانوا يبحثون عن أية تهمة يلصقونها بهؤلاء المتهمين لتبرير إعدامهم[1]. ومن بين من أعدمتهم فرنسا شيخ قرية بوقدقود الشيخ محمد بن عطيه البكوش الحطماني، الذي اغتالته فرقة من المجندين الشعانبة في بيته ليلاً وهو نائم، وهذه هي طريقتها المعتادة في اغتيال من يرفض احتلالها لفزان.

كما اتبعت فرنسا سياسة ترمي إلى فرض عزلة كاملة على فزان وسكانها عن طرابلس وبرقة، فلا يسمح لأي مواطن من فزان بالسفر إلى طرابلس أو برقة إلا بتصريح مكتوب، وهذا التصريح لا يمنح لطالبه بسهولة، كما لا يسمح لأي مواطن من برقة أو طرابلس بزيارة فزان إلا بإذن كتابي من القنصلية الفرنسية بطرابلس أو برقة، بينما شجعت السلطات الفرنسية أهل فزان على السفر إلى مستعمراتها تونس والجزائر والنيجر وتشاد[2].

كما استقدمت السلطات الفرنسية مستشرقين فرنسيين من المغرب وتونس والجزائر، يتكلمون اللغة العربية، يتجولون في جميع مناطق فزان، وكانوا يقولون لأهل فزان: إن فرنسا ستطور هذا الإقليم ليصبح على غرار تونس والجزائر، وستشق الطرق، وتفتح المدارس، وتطور الزراعة، وتنهض بالتجارة، كما شرعوا في تحذير الناس من الجامعة العربية، ومما سهل انتشار الدعاية الفرنسية ضد الجامعة العربية كما أن السلطات الفرنسية قد منعت دخول أية صحيفة عربية أو منشور[3] أو كتاب للإقليم، وحكموا فزان حكماً شديداً قاسياً. وفي الوقت الذي علا فيه صوت المؤتمر

(1) مذكرات محمد عثمان الصيد مصدر سابق ص 29.
(2) أنظر مذكرات محمد عثمان الصيد ص 28 ـ 29.
(3) المصدر السابق.

الوطني في برقة ، كما علا قبله ومن بعده صوت الأحزاب السياسية في طرابلس، مطالبة بتقرير المصير، خيم الموت على فزان، لأنها لم تعرف الوعي السياسي، كما لم تعرف التجمعات الحزبية، ولهذا ظلت كماً مهملاً في هذا الصراع الوطني الهام[1]، هذا إذا استثنينا تلك الانتفاضة التي قادها المجاهد الشهيد عبد القادر ابن مسعود الفجيجي سنة 1949 م (وهي موضوع هذه الدراسة) والتي لم تساعد الظروف على نجاحها كما سيتضح لاحقاً.

فعند وصول ممثلي اللجنة الرباعية (لجنة التحقيق الدولية) في مارس ١٩٤٨ م إلى ليبيا، قررت كل التقسيمات السياسية والاجتماعية في طرابلس وبرقة استقلال ليبيا ووحدتها، أما رأي الأهالي في فزان التي يسيطر عليها الفرنسيون، ونظرا لانعدام الوعي السياسي في هذه المنطقة التي تغط في الجهالة والحرمان، فإن ممثلي هذه اللجنة بعد أن عقدوا 23 اجتماعاً، استمعوا فيه إلى نحو 300 شخص، كما قابلوا سكان 20 قرية في فزان وسألوا من سكانها 360 شخصاً قالت هذه اللجنة: إن الأفق السياسي في فزان عموماً ضيق جداً، إذ اختلفت أراؤهم بين قيام حكومة إسلامية مستقلة، أو رغبتهم في استمرار الإدارة الفرنسية، أو أن الكثير منهم ليس لهم رأي واضح عن مستقبل بلادهم، أو الاتحاد مع طرابلس وبرقة في ظل أي حكومة[2]، الأمر الذي صعب معه تحديد نتيجة واضحة، ويرجع الأمر إلى الانتقائية في هذه المقابلات، وحجب الواعين عنها.

غير أن أهالي فزان عموماً كانوا يرفضون الحكومة السنوسية؛ لأنهم مازالوا يذكرون ما قام به زعماء السنوسية في الفترة من 1915 م إلى 1930 م من أعمال وحشية قاسية، ولا يعتبرونهم أهلاً لتأليف حكومة ولهذا بقيت القوات الفرنسية تحتل فزان، حيث عقدت فرنسا اتفاقا في مارس 1956 م مع الحكومة الليبية ـ آنذاك ـ على

---

(1) أنظر استقلال ليبيا سامي حكيم ص 50.

(2) أنظر استقلال ليبيا ص 70 ـ 73.

البقاء في فزان، نظير دفع مبلغ 250 ألف جنيه لولاية فزان، للاحتفاظ بقواعدها البرية والجوية، في غات وغدامس، مع إشرافها الفني على جميع المطارات في ولاية فزان، وتعيين خبراء ماليين، يكون لهم حق الإشراف على الميزانية، وسد أي عجز فيها، وبالإضافة إلى ذلك تستعين الولاية بهؤلاء الخبراء، الذين تتولى الحكومة دفع مرتباتهم، والأهم من ذلك، أن هذه الاتفاقية قد أباحت للقوات الفرنسية المتجهة إلى إفريقيا الاستوائية بحق المرور في أراضي فزان، وإجراء التدريبات العسكرية في الأماكن التي تختارها وذلك لمدة عشرين سنة[1].

وفي فترة الاحتلال الفرنسي قامت انتفاضة عبد القادر بن مسعود لتحرير فزان من هذا الاحتلال البغيض، هذه الانتفاضة هي موضوع الدراسة في هذا الكتاب، والتي سنتناولها ـ إن شاء الله تعالى في سبع مراحل:

1. المرحلة الأولى: أسرة عبد القادر بن مسعود ومولده ونشأته.

2. المرحلة الثانية: تعليمه وشخصيته.

3. المرحلة الثالثة: اشتغاله بالإمامة والتدريس.

4. المرحلة الرابعة: التفكير في الانتفاضة والإعداد لها.

5. المرحلة الخامسة: الهجوم على قلعة قاهرة بسببها.

6. المرحلة السادسة: إجهاض الانتفاضة والقضاء عليها.

7. المرحلة السابعة: التقييم.

---

(1) أنظر استقلال ليبيا ص 271.




# المرحلة الأولى
# أسرته ومولده ونشأته

قبل أن أبدأ الحديث عن مولد الشخ عبد القادر بن مسعود ونشأته، ينبغي ذكر ما يتصل بأصله وجده الأول، والذي يُظهر سبب نسبته التي عُرف بها (الفجيجي).

فهو عبد القادربن مسعود بن علي بن سعد بن مسعود ابن الحاج سعيد بن البخاري (الحجاجي) المرابطي المغربي قد قدم الحاج سعيد بن البخاري (الحجاجي) إلى وادي الآجال (وادي الحياة) بفزان من مدينة (الفجيج) بالمغرب، هذه المدينة التي يُنسب إليها كثير من فقهاء المغرب وعلماء الدين فيها، ولهذا سُمي المكان الذي أقام فيه، (الفجيج) وهي قرية تقع وسط وادي الآجال، إذ تبعد عن مدينة (أوباري) التي تقع غربها بنحو 60 كم، وقرية (الأبيض) التي تقع شرقها بنحو 60 كم وقرية (الفجيج) الحالية يبلغ عدد سكانها الآن أكثر من ألف وخمسمائة نسمة، كلهم تناسلوا من أبناء الحاج سعيد الأربعة: صالح وعلي ومسعود ومحمد الريش، وأبنائهم وابناء أبنائهم، كما يتضح في الشكل المرفق، ويقال: ان الحاج سعيد بن البخاري توفي بالأراضي المقدسة أثناء تأديته لفريضة الحج.

## مولده ونشأته:

ولد الشيخ عبد القادر بن مسعود في قرية (الفجيج) بوادي الآجال (وادي الحياة) سنة ١٣٤٢ هـ[1] (1906 م) من أبوين اشتهرا بالصلاح والتقوى، ومن أسرة لها إقبال على حفظ القرآن الكريم، ودراسة العلوم الدينية الشرعية[2].

في هذه الأسرة الصالحة المكونة من الأب: مسعود ابن علي بن سعد، الذي كان عالماً فقيهاً، وإمام مسجد الفجيج ومقريء القرآن الكريم فيه، وهو مؤسس زاوية

---

(1) مقابلة: أبو صلاح علي أبو صلاح (1322 ـ 1403 هـ) مسجلة على الشريط رقم 11/ 85 مركز جهاد الليبيين بتاريخ 27/ 8/ 1979 م.

(2) أبو بكر عثمان القاضي مجلة الشهيد العدد السادس أكتوبر 1985 م.

أوباري، ومؤسس جامع الغريفة وجرمة والفجيج[1].

والأم: الصالحة عبد القادر التواتي، هي ابنة خال الأب، فكان الابن عبد القادر بن مسعود بذلك هو البذرة الصالحة في التربة الطيبة، ووجدت الرعاية المبكرة فأنتجت تربية صالحة، تجلّت فيها الأخلاق النبيلة الكريمة.

نشأ الشيخ عبد القادر مع إخوته الأربعة، فكان اصغرهم سنا وهم: علي ومحمد وفاطمة ومبروكة، وفق هذا الترتيب في الولادة.

وعندما توفي والدهم: مسعود بن علي، وترك أبناءه أطفالا صغاراً قام بتربيتهم ورعايتهم أخوه الحبيب ابن علي، فكان هذا العم نعم المربي لأبناء أخيه الأيتام، والقائم برعايتهم خير قيام، حتى بلغ الأخوان: علي ومحمد مبلغ الرجال، وتزوجت البنتان فاطمة ومبروكة، فسافر عبد القادر مع أخيه محمد إلى الشاطيء، حيث كان هذا الأخ يعمل إماماً في قرية (القلة) [2]، ثم سافر بعد ذلك عبد القادر إلى طرابلس لاستكمال دراسته.

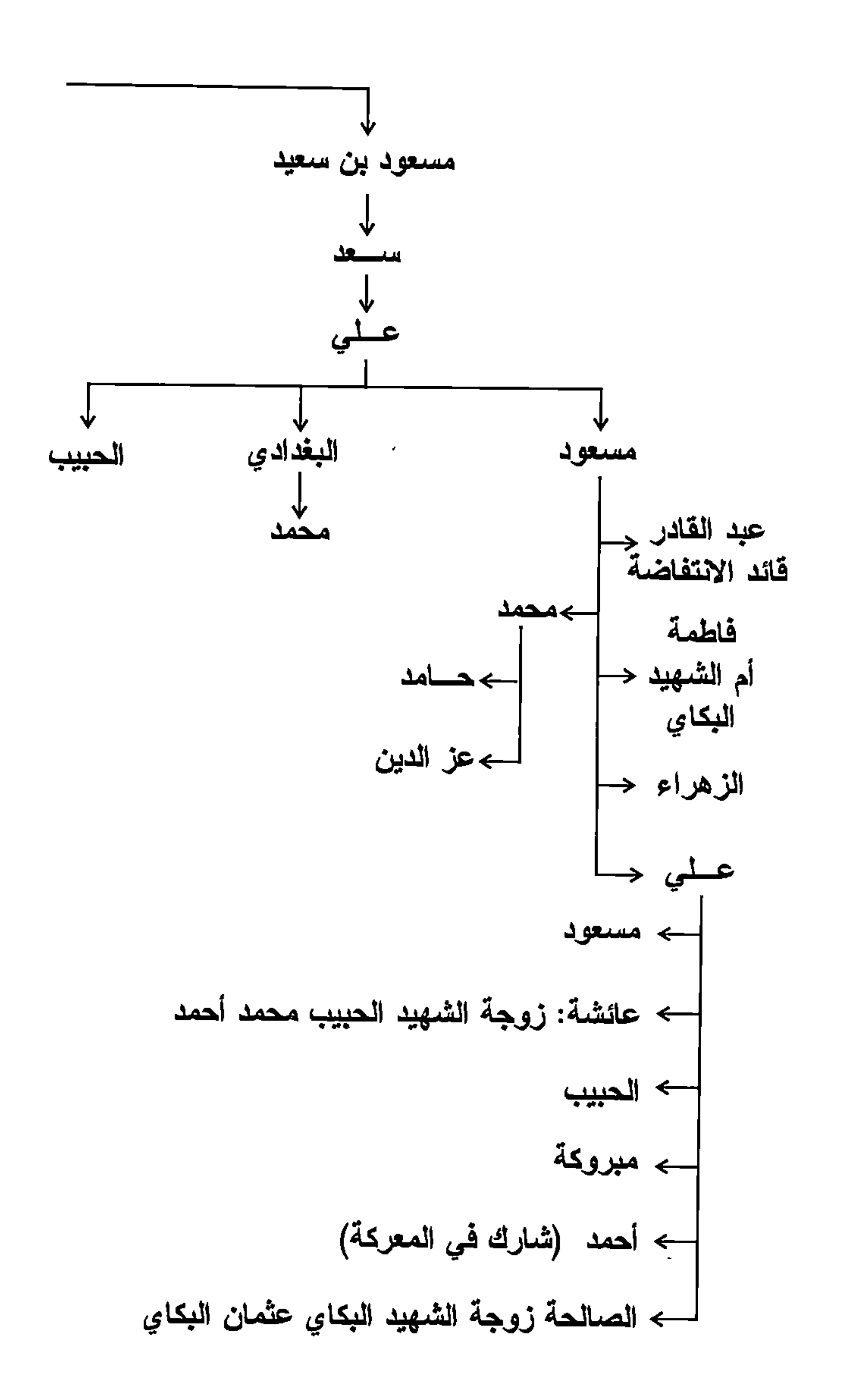
أوصافه: كان الشيخ عبد القادر بن مسعود كما يقول واصفوه: أسمر مشرباً بحمرة، مربوع القامة، وقوراً مهاباً، وهذه أوصاف معظم أبناء هذه الأسرة التي يبدو على ظاهر أبنائها الصلاح والتقوى، لتنطبق مع باطنها وما تحمله من إيمان صادق وتدين ظاهر وباطن.

وكان من الطبيعي أن يكون مجال التخصص العلمي لابن هذه الأسرة هو حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الشرعية، وهذا ما سنذكره في المرحلة الثانية في الصفحات التالية:

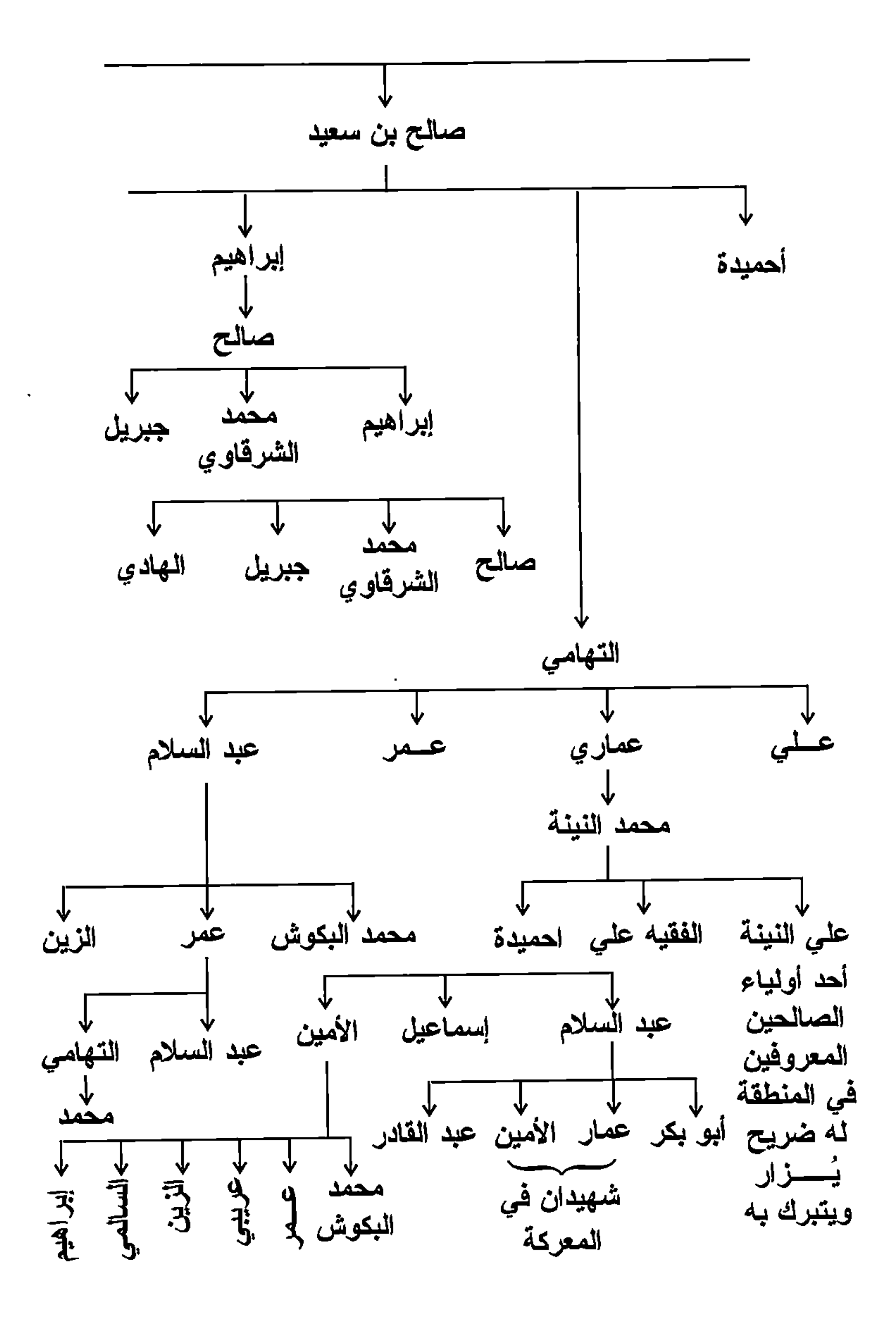
---

(1) مقابلة مسعود محمد علي البكاي (ولد 1923 م) مسجلة على الشريط رقم 11/ 22. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

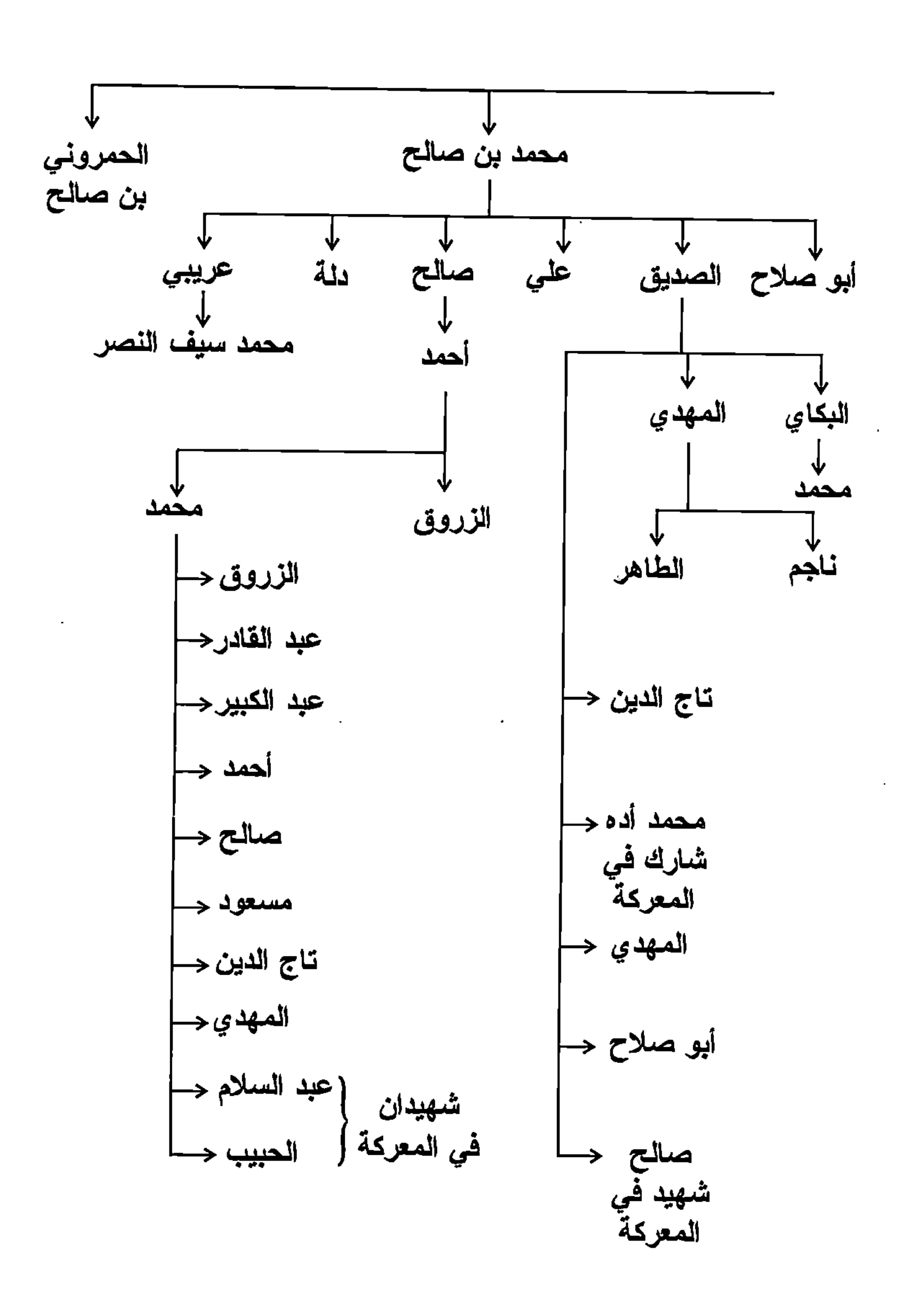
(2) مقابلة: أبو صلاح بن علي بن أبو صلاح. مصدر سابق.



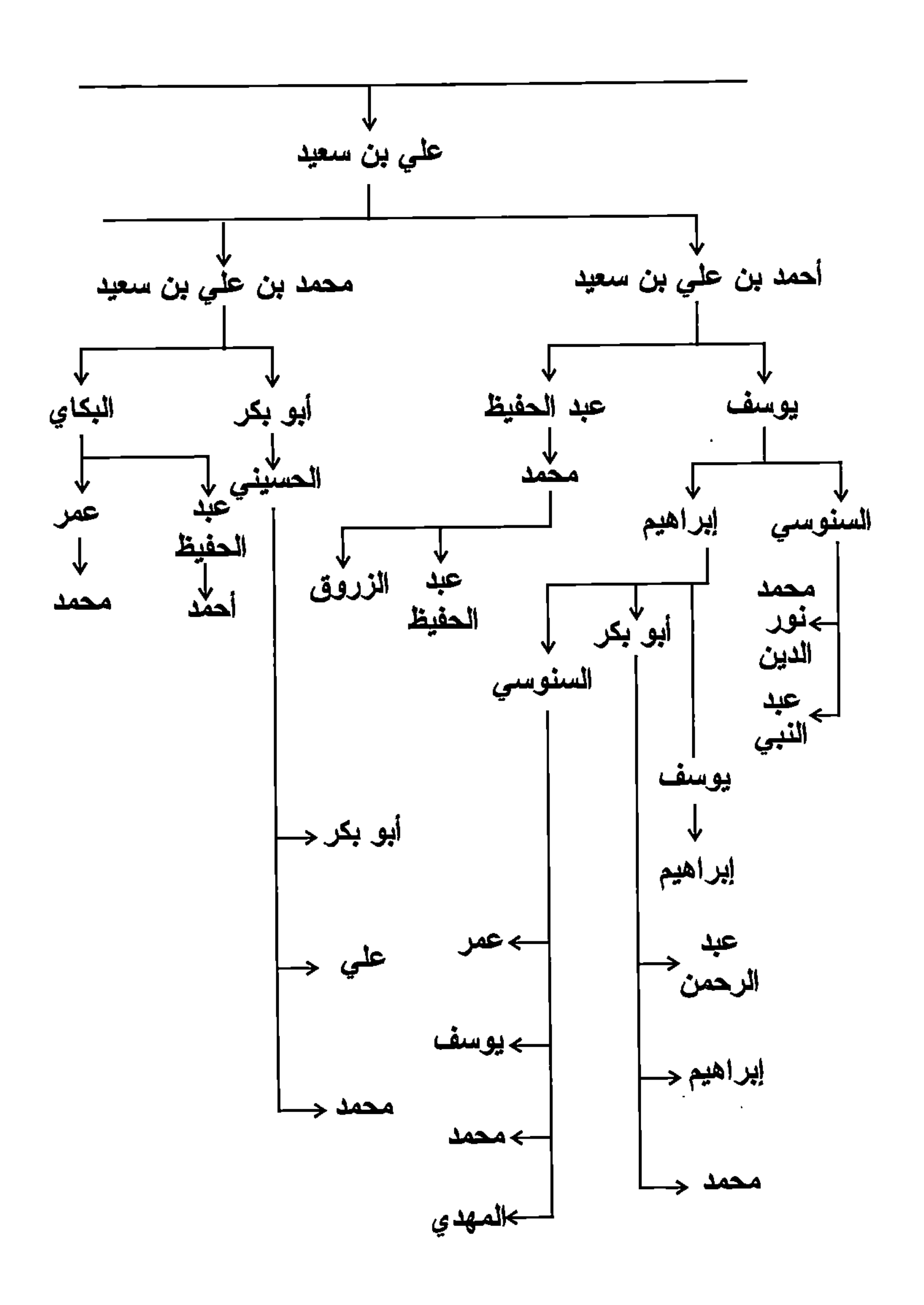
مسعود بن سعيد
سـعد
عـلي
الحبيب
البغدادي
مسعود
محمد
عبد القادر
قائد الانتفاضة
محمد
فاطمة
أم الشهيد
البكاي
حـامد
عز الدين
الزهراء
عـلي
مسعود
عائشة: زوجة الشهيد الحبيب محمد أحمد
الحبيب
مبروكة
أحمد (شارك في المعركة)
الصالحة زوجة الشهيد البكاي عثمان البكاي

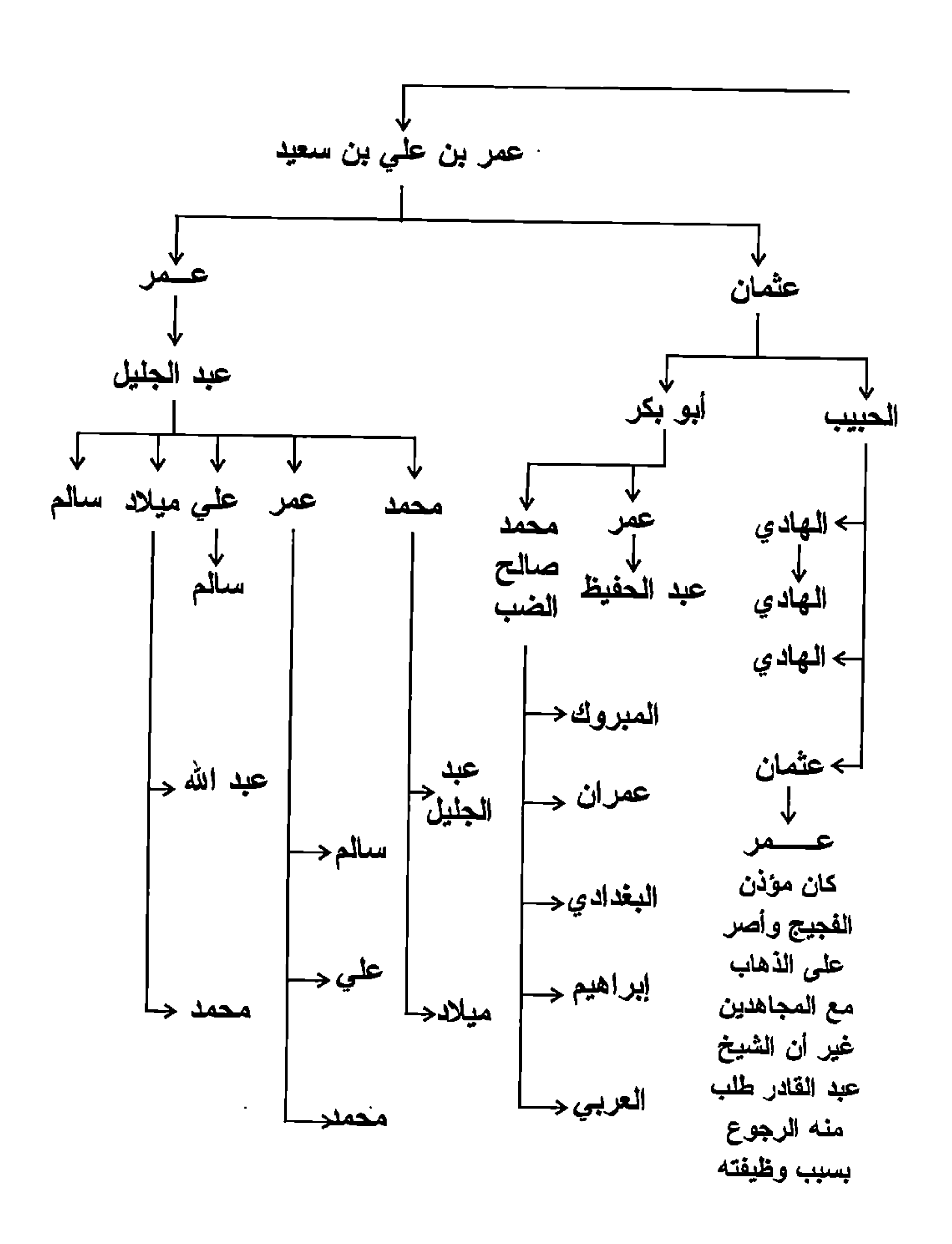


صالح بن سعيد
أحميدة
إبراهيم
صالح
إبراهيم
محمد الشرقاوي
جبريل
صالح
محمد الشرقاوي
جبريل
الهادي
التهامي
علي
عماري
عمر
عبد السلام
محمد النينة
علي النينة
الفقيه علي
احميدة
محمد البكوش
عمر
الزين
أحد أولياء الصالحين المعروفين في المنطقة له ضريح يُزار ويتبرك به
عبد السلام
إسماعيل
الأمين
عبد السلام
التهامي
محمد
أبو بكر
عمار
الأمين
عبد القادر
شهيدان في المعركة
محمد البكوش
عمر
عريبي
الزين
السالمي
إبراهيم

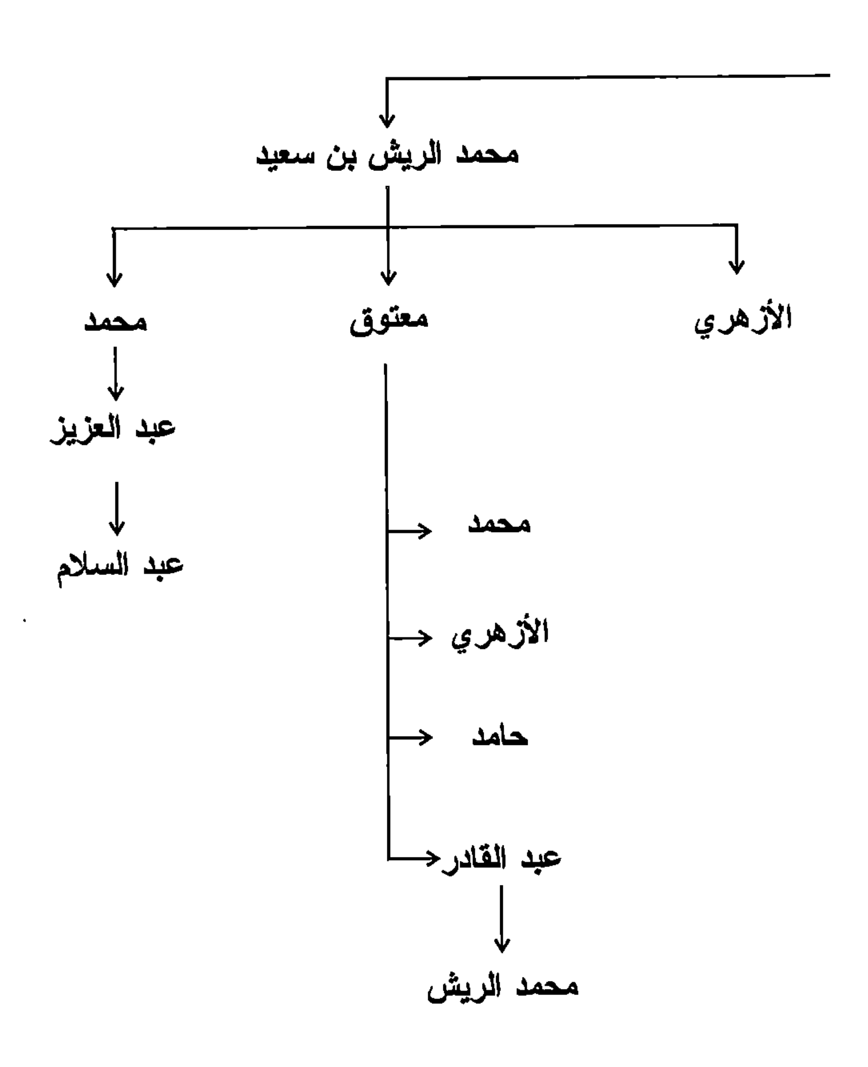


محمد بن صالح
الحمروني بن صالح
أبو صلاح
الصديق
علي
صالح
دلة
عريبي
محمد سيف النصر
أحمد
البكاي
المهدي
محمد
ناجم
الطاهر
الزروق
محمد
الزروق
عبد القادر
عبد الكبير
أحمد
صالح
مسعود
تاج الدين
المهدي
عبد السلام
الحبيب
شهيدان في المعركة
تاج الدين
محمد أده شارك في المعركة
المهدي
أبو صلاح
صالح شهيد في المعركة


علي بن سعيد
أحمد بن علي بن سعيد
محمد بن علي بن سعيد
يوسف
عبد الحفيظ
أبو بكر
البكاي
السنوسي
إبراهيم
محمد
الحسيني
عبد الحفيظ
عمر
محمد
نور الدين
عبد النبي
أبو بكر
السنوسي
يوسف
إبراهيم
الزروق
عبد الحفيظ
أحمد
محمد
أبو بكر
علي
محمد
عمر
يوسف
محمد
المهدي
عبد الرحمن
إبراهيم
محمد



عمر بن علي بن سعيد
عثمان
عـمر
الحبيب
أبو بكر
عبد الجليل
الهادي
الهادي
الهادي
عثمان
عـــمر
كان مؤذن الفجيج وأصر على الذهاب مع المجاهدين غير أن الشيخ عبد القادر طلب منه الرجوع بسبب وظيفته
عمر
عبد الحفيظ
محمد صالح الضب
المبروك
عمران
البغدادي
إبراهيم
العربي
محمد
عمر
علي
ميلاد
سالم
سالم
عبد الجليل
ميلاد
سالم
علي
محمد
عبد الله
محمد


محمد الريش بن سعيد
الأزهري
معتوق
محمد
عبد العزيز
عبد السلام
محمد
الأزهري
حامد
عبد القادر
محمد الريش





# المرحلة الثانية

# علمه وشخصيته

بدأ الشيخ عبد القادر بن مسعود منذ طفولته بحفظ القرآن الكريم على يد والده مسعود بن علي، إمام مسجد الفجيج، ومقرىء القرآن الكريم بها، وعندما توفي والده رحمه الله ـ استمر في القراءة على يد علماء أجلاء في قريته ذكر الرواة منهم: الشيخ عبد السلام الاسمر الحضيري[1].

ثم واصل قراءة القرآن الكريم على يد اخيه محمد، عند انتقاله معه إلى الشاطيء، حيث كان يعمل إماماً ومقرئاً للقرآن الكريم في مسجد (القلة). غير أن حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب لم يرو ظمأه، بل وجد نفسه في حاجة إلى معرفة معاني آيات القرآن الكريم التي يحفظها، وفهم ما تشتمل عليه هذه الآيات من أحكام عقدية وشرعية، وذلك لا يمكن استيعابه دون العلم بالسنة النبوية، وهذه كلها لا بد في فهمها من الإحاطة بعلوم اللغة العربية، التي نزل القرآن الكريم بها،وجاءت السنة النبوية في أرقى صور البلاغة فيها.

وكانت مدرسة ميزران التي أسسها المغفور له الحاج رمضان ميزران بمدينة طرابلس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، قد ملأت أرجاء البلاد شهرتها، لما تميزت به من أوقاف قد تبرع بها من أمواله، لينتفع منها الطلاب والمدرسون[2]، فهي بذلك توفر لطلابها المسكن اللازم لهم أثناء الدراسة، ولمدرسيها المال اللازم لمعيشة اسرهم. فتاقت نفس الشيخ عبد القادر بن مسعود الطموحة، رغم أنه تجاوز العشرين من عمره إلى الدراسة في هذه المدرسة، لاتمام تحصيله العلمي في العلوم الدينية واللغوية[3].

---

(1) مقابلة: أبو صلاح بن علي . مصدر سابق.

(2) أنظر معجم البلدان الطاهر الزاوي مكتبة النور طرابلس ليبيا ط 1 سنة 1968 م ص 305.

(3) مقابلة: أبو صلاح علي أبو صلاح. مصدر سابق.

وقد حاولت جاهداً الحصول على معلومات عن العلوم التي درسها الشيخ عبد القادر بن مسعود في هذه المدرسة، والشيوخ الذين تلقى عنهم هذه العلوم، من أصدقائه في فزان، فلم أجد أحدا يفيدني في ذلك، مما اضطرني للبحث عن زملائه أثناء دراسته فيها، أو الطلاب الذين درسوا في هذه المدرسة في تلك الفترة في باقي مناطق الجماهيرية، حتى وجدت أحد الشيوخ(1) الذين تخرجوا من هذه المدرسة في تلك الفترة، والذي أفادني بالمواد الدراسية التي كانت تدرس في هذه المدرسة، والكتب المقررة على الطلاب فيها، والشيوخ الذين يقومون بتدريسها فجزاه الله خير الجزاء، ورحمه الله وغفر له.

فالعلوم التي كانت تدرس على الطلاب هي:

1. الأحكام الشرعية (العبادات والمعاملات) وكانت تدرس من كتاب (أقرب المسالك)، وكان يدرسها فضيلة الشيخ علي النجار ـ رحمه الله ـ وهو من سوق الجمعة بمدينة طربلس.

وشرح (رسالة أبي زيد القيرواني) وكان يدرسها فضيلة الشيخ علي الغرياني ـ رحمه الله ـ.

2. علم الفرائض (المواريث) وكان يدرس من كتاب (شرح سبط المارديني على الرحبية) وكان يدرسه فضيلة الشيخ مصطفى الغدامسي

ـ رحمه الله ـ.

3. العقيدة والتوحيد: وكان يدرس من كتاب (الميارة على شرح ابن عاشر)

---

(1) الشيخ الكيلاني مسعود مواليد 1923 م من أولاد موسى بالأصابعة في الجبل الغربي وتوفي سنة 2002 م بعد المقابلة بنحو شهر رحمه الله.

و(الجوهرة) وهذا العلم كان يدرسه الشيخ علي الغرياني رحمه الله.

4. النحو والصرف: وكان هذا العلم يدرس من ثلاثة كتب، حيث يدرس الطالب كتاب (شرح الأجرومية) فإذا تجاوزه الطالب ونجح فيه، انتقل إلى كتاب (قطر الندى) فإذا تجاوزه الطالب ونجح فيه، وصل إلى كتاب (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) وكان يدّرس هذه الكتب، وفق هذا الترتيب الشيوخ الافاضل: علي النجار وعلي الغرياني وجزار البشتي ـ رحمهم الله تعالى ـ

5. المنطق: وكان يدرس من (شرح السلم) ويقوم بتدريسه فضيلة الشيخ علي النجار رحمه الله.

وكانت تجرى للطلاب اختبارات في هذه الكتب، يعطى الطالب بعدها إجازة تفيد نجاحه وتخرجه من هذه المدرسة موقعة من قبل هؤلاء الشيوخ.

وكانت مدة الدراسة فيها تتراوح بين ثلاث سنوات أو أربع، وذلك بحسب استيعاب الطالب لهذه العلوم ونجاحه فيها.

وكانت هناك دروس تلقى في مسجد درغوت، وجامع أحمد باشا بمدينة طرابلس، يحرص طلاب هذه المدرسة على حضورها، في تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية، يلقيها في شهر رمضان المبارك كل من الشيخ عبد الحميد بن عاشور، والشيخ أحمد العالم ـ رحمهما الله تعالى، وقد كانا ضمن أعضاء المحكمة العليا آنذاك.

وكان الشيخ علي سياله ـ رحمه الله ـ يدّرس في جامع أحمد باشا، وكانت له سمعة وشهرة في العلم والدين، وقد التقى به الشيخ عبد القادر بن مسعود، وأخذ عنه ورد الطريقة الصوفية (القادرية) وحفظ منه أحزابها.

وباستكماله مرحلة الدراسة والتعليم في هذه المدرسة تكون شخصيته قد تكاملت، هذه الشخصية التي أجمعت الروايات الشفاهية حولها أنها تميزت بثلاث

مزايا رئيسية، تشكلت بها وانبنت عليها وهي:

### 1 . المزية العلمية:

وهي من أبرز مزايا شخصية الشيخ عبد القادر بن مسعود، وأوضح سماتها، ونقصد بهذه المزية ما عرف به هذا الشيخ من إجادة وحفظ لكتاب الله تعالى، وما تمتع به من وفرة التحصيل في مجال الفقه، وما ناله من علماء طرابلس من العلوم الشرعية واللغوية، بشتى فروعها، والتي سبق ذكرها، والملاحظ على العلوم التي درسها، والتي ساهمت في تشكيل شخصيته، انحصارها في علوم اللغة والدين.

### 2 . المزية الروحية:

ونقصد بها ما أخذ به نفسه من التربية الروحية، ومن الرياضة النفسية، التي أوصلته ـ دون شك ـ إلى تحسين صلته بالله جل جلاله، وذلك باتباع الأوامر الشرعية في العبادات والعادات والسلوك والأخلاق، واجتناب ما نهى عنه الشرع الحكيم في ذلك كله، والعمل الدؤوب دون كلل أو ملل من أجل الآخرة، بإقامة الفروض في العبادات، والزيادة عليها بعمل النوافل والطاعات من المستحبات والمندوبات، وقد التزم في تحقيق هذه المزية الروحية بالعمل بما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وما يستلزم من العبد في ذلك من المداومة على العبادة، وملازمة الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه، وعباد الله الصالحين السالكين طريق الهدى واليقين.

كما ألزم الشيخ عبد القادر بن مسعود نفسه بالطرائق التعبدية، وفق نهج الطريقة القادرية للشيخ عبد القادر الجيلاني، هذه الطريقة التي انعكس أثرها في حياته كلها أقوالاً وأفعالاً.

وقد أخذ هذه الطريقة أثناء إقامته في مدينة طرابلس من أشهر أعلامها، في ذلك الوقت، وابرز شيوخها، الشيخ علي سياله ـ رحمه الله تعالى ـ فنقل عنه وأخذ ما يُسمى في الطرق الصوفية (الورد) وهو الواجب اليومي الذي ينبغي على المريد المواظبة عليه، والمداومة على فعله، في كل يوم من صلاة العصر إلى صلاة العشاء، وهو يختلف من طريقة صوفية لأخرى، ونصه في الطريقة القادرية:

قراءة سورة الفاتحة ثلاث مرات

ثم الاستغفار، وهو قوله (أستغفر الله العظيم) سبعين مرة.

ثم الصلاة السابقية وهي قوله: (اللهم صلي على سيدنا محمد السابق نوره) سبع مرات، ثم يتمها بقوله (رحمة للعالمين ظهوره عدد ما مضى من خلقك وبقي، وسعد منه وشقي، صلاة تستغرق العد، وتحيط بالحد، صلاة لا غاية لها ولا انتهاء، صلاة دائمة بدوامك، وعلى آله وصحبه وسلم).

ثم الجلالة (الله. الله. . .) ثلاثمائة مرة.

ثم اللطفية (يالطيف. يالطيف. . .) مائة وتسع وعشرون مرة.

ثم الدعاء بما شاء.

ثم الختم بسورة الفاتحة[1].

كما نقل الشيخ عبد القادر بن مسعود عن الشيخ علي سياله، وحفظ عنه ما يسمى عند أهل التصوف (الوظائف) وهي أيضا واجبات يومية، ينبغي على المريد المداومة عليها، والمواظبة على قراءتها، بعد صلاة الصبح، وأشهرها (الوظيفة الزروقية) و(الوظيفة الخطابية) ونظراً لطول هذه النصوص (الوظائف) والتي لا يتسع

(1) الفيوضات الربانية جمع وترتيب اسماعيل بن السيد محمد بن سعيد مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر د. ت.

المقام هنا لذكرها، أحيل القاريء الكريم على الكتب المؤلفة في هذا الشان ومنها كتاب (الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية).

كما نقل الشيخ عبد القادر بن مسعود عن الشيخ علي سياله وحفظ ما يسميه أهل التصوف (الأحزاب) وهي نصوص تقرأ في أوقات خاصة تدعو إليها الحاجة، مثل : (الحزب الصغير) و(حزب الحفظ) و(حزب النصر) و(حزب النصر الأكبر) والأدعية المنقولة عن أقطاب التصوف.

كما نقل الشيخ عبد القادر عن الشيخ علي سياله، وحفظ منه القصائد المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن أشهرها القصيدة المسماة (الوسيلة) والتي مطلعها:

نظرتُ بعين الفكر في حان حضرتي     حبيبــــاً تجلـــى للقلـــوب فحنّـــت
سقـانـي بكـــأس مــن مـدامـة حبـه     فكـان من السـاقـي خمـاري وسكـرتـي

وكذلك القصيدة المسماة (الخمرية) والتي مطلعها:

سقـانـي الحـب كـاسـات الـوصـال     فقلــتُ لخمـرتــي نحـوي تعـالـي
سعــتْ ومشــتْ لنحـوي فـي كـؤوس     فهمـــتُ بسكــرتــي بيــن المـوالـي

إلى غير ذلك من القصائد التي تفيض بحب الله تعالى، وتمجده، وحب رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتمدحه.

## 3 . المزية الأخلاقية:

وهذه المزية هي نتاج اجتماع المزية العلمية، والمزية الروحية، ولذلك فهي لا تستقل بنفسها عادة، لأن الأخلاق عبارة عن مرآة تنعكس عليها صورة العلم في الروح، وهي بالتالي التطبيق العملي لتلك الصورة في التعامل مع الآخرين.

وقد تهذبت طباع الشيخ عبد القادر بن مسعود منذ طفولته، واستقام سلوكه،

بفضل ما تمتع به من حسن تربية في أسرته، كان الدين أساسها، والعلم قوامها، فكانت نفسه الكريمة تمتاز بالتدين الواضح الظاهر، وكانت أفعاله تتسم بالصلاح والتقوى، وقد ظهر أثر ذلك كله في معاملته مع الناس، تلك المعاملة التي حمدها له كل من عرفه، ومن عاصره من عامة الناس، يقول أحد مرافقيه: «لقد تعرفت على هذا الشيخ، ولمست فيه تلك الرجولة، والصفات الحميدة، والأخلاق الفاضلة النبيلة، كان ـ رحمه الله ـ شيخاً وقوراً عارفاً بأمور الشريعة، له مقدرة فائقة على اجتذاب محدثيه والإصغاء إلى كلامه، وله طريقة خاصة في تربية الروح والسلوك، كان رجلاً حليماً عطوفاً على إخوانه، يلاطفهم دائما، ويناقشهم في أمورهم الخاصة والعامة، وكان شديد الاهتمام بهم»[1].

ومن مظاهر حبه لاتباعه ومرافقيه، وملاطفته لهم، أنه كان يقول لأحدهم، وهو الأمين ضو عطيه: أنا أحبك لأن اسمك الأمين، وهذا الاسم يعني عندي الكثير، ويقصد بذلك الشيخ محمد الأمين.

وبفضل تلك المزايا التي ازدانت بها شخصيته، عاش الشيخ عبد القادر بن مسعود موقراً محبوباً، أحبه كل من عرفه، وتعلق به كل من لقيه وصاحبه، لازال رفاقه تذرف عيونهم الدمع عند مجرد ذكر اسمه لفرط حبهم له.

وبفضل تلك الأخلاق الحميدة التي اتسم بها فرض احترامه على كل الطبقات الاجتماعية المتباينة التي التقى بها أو تعامل معها.

فاستفاد من ذلك كله، في اداء مهمته الدينية، فكان آمراً بالمعروف، وهو ما عبّر عنه الشاعر الشعبي علي علي مادي السهيكي في قوله:

ظهـر شيـخ متصيـت وغـاب علينـا     لـي ديننـا الإسـلام يـرشـد فينـا

---

(1) أبو بكر عثمان القاضي مجلة الشهيد مركز جهاد الليبين العدد السادس أكتوبر 1985 م.

وناهيا الناس عن المنكر، وقائماً بواجب الحسبة، الذي عرف في عهود الإسلام الأول في إصلاح ما يراه فاسداً، وتقويم ما يشاهده معوجاً، يوجه الناس إلى التمسك بالأخلاق الحسنة الحميدة، وينفرهم من كل رذيلة، ناصحاً أمينا لهم بالتمسك بتعاليم الإسلام السامية.

ومن الأخبار والروايات التي ساقها الرواة في بيان نهوضه بهذا الواجب تجاه بعض المسلمين أنه:

1. عندما جاءه سالم ابراهيم النويلي وهو أحد أصدقائه لزيارته، رفض الشيخ عبد القادر مقابلته، رغم ما يكنّه له من حب وتقدير، وذلك لأن صديقه سالم ابراهيم قد اشترى مزرعة يرى الشيخ عبد القادر أن في عملية شرائها مخالفة لأحكام الدين، فاشترط عليه ردّ هذه المزرعة إلى صاحبها، ولم يوافق على زيارته ومقابلته إلا بعد أن استجاب لما طلب منه.
2. عندما انتقل الشيخ عبد القادر من الشاطيء إلى وادي الآجال (وادي الحياة) واثناء زيارته إلى قرية (الغريفة) وجد أن بعض المسلمين يشربون الخمر، أقام عليهم الحد الشرعي وهو الجلد ومن هؤلاء (واسلي) و(كوكله).

وبعد أن استكمل الشيخ عبد القادر بن مسعود دراسته وتخرج من مدرسة ميزران، كان عليه أن يتجه إلى ميدان العمل الذي يناسب تخصصه، ولذلك كان اشتغاله بالإمامة وإقراء القرآن الكريم وهي المرحلة الثالثة في هذا البحث.



# المرحلة الثالثة

# اشتغاله بالإمامة والتدريس

بعد استكمال الشيخ عبد القادر دراسته في مدرسة ميزران، وتخرجه منها، بدأ مرحلة جديدة من حياته، وهي العمل في مجال الإمامة وإقراء وتحفيظ القرآن الكريم، وكانت أول محطة له في هذ ا العمل قرية (بو عيسى)[1] التي تقع غرب مدينة الزاوية، هذه القرية التي عمل إماما في مسجدها ومقرئاً للقرآن الكريم لأطفالها مدة سنة كاملة، ترك بعدها العمل في هذه القرية ورجع إلى فزان.

وأما سبب تركه للعمل فيها، وعودته إلى فزان فهو كما يقول الرواة عنه[2]: إن إمرأة من القرية مرضت بمس الجن، فأسرع أهلها إلى الشيخ عبد القادر، طالبين منه علاجها، لما عرفوا عنه من صلاح وتقوى، ولما يعتقدونه في أهل فزان عامة، وفي إمام مسجدهم خاصة من بركه، غير أن الشيخ عبد القادر قد اعتذر منهم، قائلا لهم: إنه لا علم له بعلاج الجن، وعندما أصروا على طلبهم، وألحوا عليه في الطلب، لم يجد أمام ذلك الإصرار إلا أن يجيبهم إلى طلبهم، ولكنه قرّر في نفسه قراراً مفاده: أنه سوف يغادر قرية بو عيسى إذا شفيت هذه المرأة على يديه، وإذا لم تشف من مرضها فإنه سوف يبقى معهم.

قال: فقرأ عليها شيئا من القرآن الكريم، والحزب القادري، فشفيت المرأة بفضل الله تعالى.

عند ذلك بدأ ينفذ قراره في مغادرة قرية بو عيسى التي ظهر فيها سره وبانت فيها كراماته، وبينما كان يبحث عمن يرافقه في رحلة العودة إلى فزان، التقى في سوق مدينة الزاوية مع أحد أبناء قبيلة الحطمان وهو عبد السلام بن أحمد، الملقب

---

(1) مقابلة: أبو صلاح بن علي: مصدر سابق.

(2) رواية الحاج الهمالي ضو عطيه، من مواليد ابو قدقود الشاطي 1918م مقابلة شخصية مع الباحث.

بالشلفاحي، فسُر بذلك وعرض عليه الأمر، فاعتذر له الشلفاحي أول الأمر، بحجة أن الرحلة شاقة وطويلة، وهو لا يملك إلا ناقة واحدة يحمل عليها متاعه، ولاعتقاده أن الشيخ عبد القادر لا يستطيع المشي على قدميه مسافة تزيد على سبعمائة كيلو متر، وتستغرق أكثر من عشرين يوماً متواصلة.

وعندما رجع الشيخ عبد القادر إلى وادي الآجال (وادي الحياة) عمل معلماً للقرآن الكريم بجامع أوباري العتيق، والعمل في هذا الجامع شرف لا يناله إلا من أتاه الله تعالى علماً واسعاً، في علوم الدين واللغة، وفي هذه الفترة حرص على نشر الطريقة الصوفية القادرية في مدينة أوباري، فأنشأ بها زاوية يجتمع فيها المريدون، إخوان الطريقة القادرية.

ثم ترك الشيخ عبد القادر مدينة أوباري وعاد إلى قريته الفجيج، وسبب تركه العمل فيها كما يقول الرواة[1]: أن الشيخ عبد القادر ذهب إلى الحاكم الإيطالي في حامية أوباري وقال له: ارحلوا عنا، أخرجوا من بلادنا، هذا الوطن ليس لكم، وكان مع الحاكم الإيطالي المدير (حسن عراب) الذي اعترض على الشيخ عبد القادر، فدار بينهما حوار انتهى بوضع الشيخ عبد القادر في السجن.

فجاء بعض وجهاء أوباري ممن يعرفون الشيخ عبد القادر، وطلبوا من الحاكم الإيطالي إطلاق سراحه، بدعوى الجنون، وقالوا له: يمكنك التأكد من جنونه بإعطائه قليلاً من التمر وكثيرا من النقود، فإنه سوف يحتفظ بالتمر، ويرمي النقود على الأرض، وذلك لعلمهم أن الشيخ عبد القادر لا يقبل النقود الإيطالية، ويرى أنها نجسه لا يجوز شرعاً لمسها، مثل باقي النجاسات. وعندما اختبره الحاكم الإيطالي وجده كما قالوا، فأطلق سراحه، ومما زاد في اقناع الحاكم الإيطالي (الكوماندا) بأن الشيخ عبد القادر مجنون أنه جاءهم وحيداً أعزل من كل سلاح.

---

(1) مقابلة: أبو صلاح بن علي. مصدر سابق.

فجاء به أولئك الوجهاء إلى منزل ابراهيم بداوي في قرية (الحطية) وهي بالقرب من أوباري، التي بقي بها، إلى أن سمع بأمره أخواه: محمد وعلي، اللذان رجعا به إلى قريته الفجيج.

وبرغم أنه عاد إلى قريته ليتوارى مؤقتا عن مراقبة عيون الإيطاليين، ومتابعة جواسيسهم بعدما عرفوا ما يضمره لهم من كره، فإن بقاءه في قرية الفجيج لم يدم طويلاً، فسرعان ما غادرها ليشتغل بالإمامة والتدريس في قرية جرمة التاريخية[1].

ثم جاء الحاج ضو بن عطيه الحطماني (1875 ـ 1960 م) إلى قرية الفجيج يطلب إماماً ومقرئا لقريته (بوقدقود) لما تتميز به العلاقة بين قبيلة الحطمان في وادي الشاطيء، وأهل قرية الفجيج في وادي الآجال من محبة وود منذ أن وطئت أقدام الحطمان أرض فزان، وسكنوا قرية الغريفة بوادي الآجال، ثم انتقل معظمهم إلى وادي الشاطيء ـ حيث القرب من مراعي إبلهم القديمة في الحمادة الحمرا ـ وبقي بعضهم إلى الآن بها.

ومن أواصر تلك العلاقة القوية الحميمة أن قبيلة الحطمان تعتمد على أهل قرية الفجيج في أداء بعض الوظائف الدينية كالإمامة في مساجدها، وإقراء القرآن الكريم لأبنائها. شأنها في ذلك شأن معظم قبائل البدو الرحل وشبه الرحل، الذين يمتهنون الرعي، وتربية الإبل، وما يستلزم ذلك من سفر بحثاً عن المراعي أينما تكون، فيعتمدون على أهل قرى وادي الآجال، والجديد بسببها في الإمامة وإقراء القرآن الكريم لأبنائهم.

وبذلك انتقل الشيخ عبد القادر بن مسعود إلى وادي الشاطيء ليكون إماما

---

(1) مقابلة: أبو صلاح بن علي. مصدر سابق.

لمسجد (بوقدقود) ومقرئاً للقرآن الكريم لأبنائها، وكان يذهب إلى قريته (الفجيج) بوادي الآجال (وادي الحياة) مرة في كل سنة، ويبقى فيها مدة شهر، فيما يعبر عنه الآن في قانون العمل بالإجازة السنوية، ومن المصادفة أن تكون قرية (الفجيج) في قلب منتصف وادي الآجال، وأن تكون قرية (بوقدقود) في منتصف وادي الشاطيء، والواديان متوازيان تقريباً، مما يجعلهما أقرب قريتين في الواديين المتقابلين.

وقد كان مرتب الإمام يجمع من أهالي القرية القادرين على ذلك، ومما يتم تحصيله من تمور يمكن جمعها من نخيل الوقف المخصصة للمسجد، ومما يجمعه الأطفال مقابل تحفيظهم القرآن الكريم في كل أسبوع.

بقي الشيخ عبد القادر بن مسعود إماما في مسجد قرية (بوقدقود) نحو أحد عشر عاماً، حيث جاءها عزباً، ثم تزوج في العام الأول، زوجته الأولى ابنة خاله: غزالة عبد القادر التواتي، وقد اصطحبها معه إلى قرية (بوقدقود) وأنجب منها ابنته الصالحة.

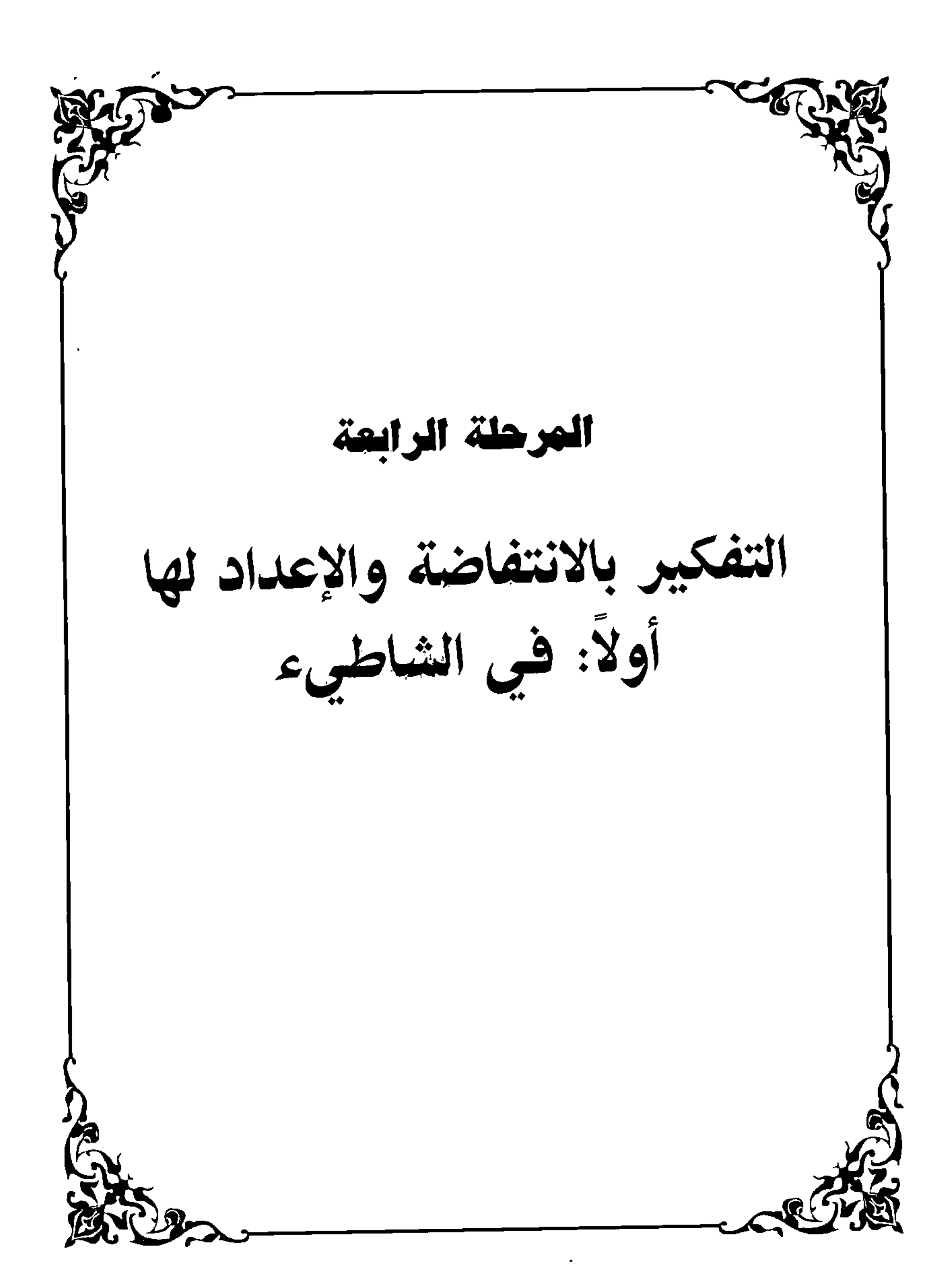
وبعد عام تقريباً توفي أخوه علي، فتزوج الشيخ عبد القادر أرملته: رقية ابراهيم بداوي، واحتضن أطفال أخيه، وتكفل بتربيتهم كلهم، سواء أبناء رقية التي تزوجها وهما مسعود والصالحة أو أبناء أرملة أخيه الثانية مبروكة وهم: أحمد والحبيب ومبروكة وعائشة.

فأنجب الشيخ عبد القادر من زوجته الثانية رقية ابراهيم بداوي ابنه الوحيد محمد، وعندما توفيت بعد أقل من عام من زواجهما، استقدم معه ابنه محمد، حيث وضعه عند ابنة أخيه الصالحة علي، والتي هي في الوقت نفسه أخت هذا الطفل من جهة الأم، وكانت زوجة لابن أخته البكاي عثمان البكاي، غير أن هذا الطفل قد توفي فدفن في برقن.

وكان قبله بنحو عام قد توفي أخوه محمد سنة 1358 هـ وكان قد احتضن

كذلك طفليه عز الدين وحامد، وبذلك صار الشيخ عبد القادر مسئولاً عن كل أبناء أخويه الأيتام يرعى شؤونهم، ويتولى تربيتهم.

وقد بقي الشيخ عبد القادر بن مسعود إماما في هذه القرية من سنة 1938م إلى أن قام بانتفاضته ضد فرنسا سنة 1949 م.



# المرحلة الرابعة

# التفكير بالانتفاضة والإعداد لها

## أولاً: في الشاطيء

في إطار الدعايات الكاذبة التي تروجها فرنسا بين سكان فزان عن رغبتها في اصلاح هذا الإقليم، ورفع مستواه، قام ضباطها بزيارات إلى كل قرى فزان ومدنها، يبثون سموم أكاذيبهم الباطلة، أنهم سوف يشقون الطرق المعبدة، بين تلك القرى والمدن، وسوف ينشئون المدارس العامة، ويحفرون الآبار العامة للشرب؛ لرفع المعاناة عن سكان فزان في تلك السنوات العجاف التي لم تر فزان مثلها من قبل، فقراً قد ضرب أطنابه في كل بيت وجوعاً قد لوى كل نفس، ولا زال أهل فزان يتعوذون بالله من تلك السنوات.

كان الشيخ عبد القادر بن مسعود مثل غيره من سكان فزان يرى وطنه يستلمه العدو من العدو، بمعاهدة أو بالقوة ومواطنوه لا حول لهم ولا قوة، تسلمه تركيا إلى إيطاليا بمعاهدة، وتأخذه فرنسا بالقوة من إيطاليا، ولا يدري السكان من سوف يستلمه غداً من فرنسا.

وإذا كان لا بد للمتألم أن يتوأه، وللمظلوم أن يتفوه فإن الشيخ عبد القادر، بن مسعود هو البطل الذي تأوه لظلم أهل فزان، وتفوه بما يعانون من ظلم الاحتلال، الذي ضاقت بظلمه نفوس أهل فزان عامة، فكان هو الرجل الذي رشحته الأقدار لأن يكون الباعث لما اندرس من أمجاد الآباء والأجداد، والمجدد لما انطمس من جهادهم وفدائهم ضد الاحتلال الإيطالي والتركي قبل ذلك.

فكانت الشرارة التي فجّرت بركان ذلك الغضب، والهزة التي أخرجت ذلك الحزن والألم المدفون زيارة أولئك الضباط الفرنسيين إلى قرية (بوقدقود) شأنها شأن كل قرى فزان، واستضافة الحاج أحمد قريش (1889 ـ 1989 م) وهو من أعيان القرية، لأولئك الضباط الذين كانوا بقيادة (سارزاك) قائد حامية براك ـ في وجبة غداء، ومن لوازم تلك الضيافة أن ذبح لهم شاة. وعندما سمع الشيخ عبد القادر بالأمر، وكان مع طلابه، غضب غضباً شديداً، وأقسم بالله العظيم، أن هذا اللحم لن يأكله

الكفار، يعني الفرنسيين، وأنه سوف يأكله هو ورفاقه. وفعلا لا يتناول (سارزاك) ومن معه من الضباط تلك الوجبة المعدة لهم، ويتناولها الشيخ عبد القادر بن مسعود ومن أدى معه صلاة الظهر في المسجد في ذلك اليوم[1]، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره"[2]. غير أن هذه الحادثة قد حرّكت في نفسه شيئا كامناً كان مختفياً، يمكن أن يعبر عنه في المفهوم السياسي بالثورة على الاحتلال، والرفض للأجنبي الدخيل على أرض الوطن، إذا اجتمع هذا مع ما يسميه أهل التصوف بلحظة (الجدبة) فيتفجر ذلك كله في يوم واحد، فيملأ على الشيخ نفسه ـ وهذا ما يحدث في ليلة ذلك اليوم، إذ بعد تناوله وجبة العشاء كالعادة مع الحاج ضو بن عطيه (1875 ـ 1960 م) يقفز الشيخ عبد القادر إلى (الركيزة) [3] في آخر الحجرة، ويأخذ منها ملابس نظيفة وعمامة، ويرتديها ثم يجلس على (السحارية) [4] ويسأل الحاج ضو: من أنا؟

فيرد عليه الحاج ضو: أنت عبد القادر بن مسعود.

فيقول الشيخ عبد القادر: هذا كان زمان، أنا الآن ملك فزان.

ثم يخرج من بيت الحاج ضو متوجهاً إلى داره، التي تقع خلف هذا البيت، وقبل أن يصل إلى الدار يقف متجهاً إلى ناحية القبلة، يضرب الأرض بعصاه، وهو يهتف بشكل متكرر: الله. الله. . . .

---

(1) مقابلة أبو صلاح بن علي، ومقابلة مسعود محمد علي البكاي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد تحت رقم 2514 وفي كتاب الإيمان تحت رقم 5934، ومسلم في فضائل الصحابة، فضائل أنس بن النضر.

(3) الركيزة: خشبة من جذوع النخل تعلق بين جداري الحجرة لتوضع عليها الملابس.

(4) السحارية: صندوق خشبي مغلف بالجلد عادة يستعمله الأثرياء في حفظ النقود والأوراق المهمة والاشياء الثمينة.

وبعد منتصف الليل يمر به الأمين ضو عطيه، فيجده على تلك الحال، والعرق يتصبب منه، رغم ليل الربيع البارد في فزان، فيدخله إلى داره.

ومنذ ذلك اليوم تبدأ خمسة عشر يوماً عاشتها قرية بوقدقود والقرى المجاورة لها في حركة دائبة مستمرة.

ففي اليوم التالي لتلك الحادثة يقول أحد الرواة: "كنتُ طالباً ضمن الطلاب الذين يدرسون عليه القرآن الكريم، وفي ذلك اليوم غمس نشاشته في القاز (الكيروسين) وصار يرش علينا منها، حتى ابتلت ملابسنا بالقاز وهو يقول: يا متعالي أصلح حالي[1].

تسامع الناس في القرية والقرى المجاورة لها بأن الشيخ عبد القادر بن مسعود، إمام مسجد بو قدقود (مجذوب) فجاءوا إليه فرادى وجماعات يتفقدون صحته، ويتبركون به، غير أنهم قد وجدوه قد شكّل ما يشبه الحكومة، يقف الحارس الأمين ضو عطيه ببندقيته على باب البيت الذي يتواجد فيه، ولا يسمح لأحد بالدخول عليه ومقابلته إلا بإذنه وموافقته، وكان كلامه لمن يدخل عليه ويقابله نصائح ومواعظ دينية، تقويم لما قد يكون عليه الزائر من أخطاء في الدين، ثم التحريض على مقاومة الفرنسيين والدعوة لمحاربتهم وبعد هذا أو قبله تقام (الحضرة).

وفي اليوم الرابع يقول الراوي[2]: ذهبت أنا وأبناء عمومتي ومنهم: سالم ابراهيم النويلي ومحمد أبو القاسم الغول، لزيارته، وعندما طلبنا الإذن بالدخول عليه رفض ذلك قائلا: لا يدخل عليّ سالم إبراهيم ولا يزورني، ولا أقابله حتى يرجع مزرعة امبارك محمد امبارك التي اشتراها منه، وكان يرى في شرائها مخالفة لأحكام البيع في الشريعة الاسلامية.

---

(1) علي امحمد محمد اكشاخي مقابلة شخصية مع الباحث.

(2) الحاج علي بن خليفة الغول الحطماني مقابلة شخصية مع الباحث.

وعندما وافق سالم ابراهيم على هذا الشرط، يقول الراوي: دخلنا عليه فبكى حتى امتلأت عيناه بالدموع، ثم قال: يا سالم لي أربعة أيام في هذه الحال ولا تزورني، أنا لا أنسى معروفك وجميلك منذ تسع سنوات، عندما مات ابني محمد، فأدخلتنا إلى بيتك نستظل فيه من حرارة الشمس، ونشرب الماء البارد أنا وجماعة بوقدقود في ذلك اليوم الحار.

يقول الراوي: ثم انتقلنا معه إلى منزل الحاج أحمد قريش وصارت الوفود ترد عليه من برقن والزهراء وبوقدقود حتى بلغ عددنا نحو عشرين رجلاً.

وفي أحد الايام، وقد كانت عادة المصلين أن يجلسوا بعد صلاة العصر في ظل الزاوية القادرية، التي تقع في مواجهة المسجد، وكان على سطح المسجد جرة فخار (باقول).

سأل الشيخ عبد القادر الحاضرين: من أكثر الناس هنا تصويباً بالبندقية؟

فقال الحاضرون: أحمد مسعود اكشاخي.

فأمره الشيخ أن يحضر بندقيته من بيته، وأن يصوبها تجاه تلك الجرة، وقال له: إن ضربت الجرة يموت القائد الفرنسي (كوناي) وإن لم تصبها أموت أنا.

بذل أحمد مسعود اكشاخي أقصى جهده أن يصيب تلك الجرة، غير أن إرادة الله تعالى اقتضت أن يخطىء في إصابة الهدف هذه المرة، وهو المشهود له بإصابة العصافير فوق أغصان النخيل، فيقول لهم الشيخ عبد القادر: أموت أنا وفي ذلك الخير لكم.

يطلب أحمد مسعود اكشاخي الإعادة، غير أن الشيخ يرفض ذلك، ويقول: هذه إرادة الله ولا راد لقضائه.

وفي ضحى أحد تلك الأيام المفعمة بالذكر والتهليل، ذهب الشيخ عبد القادر

وتبعه الناس إلى المسجد، فملأ مجموعة من الأواني بالماء، وصار يضرب ذلك الماء بسعف النخيل، وكأنه يطفيء ناراً ويهتف: يالطيف. يالطيف. يالطيف...

والناس كذلك يفعلون، ويرددون ما يقول لا يفترون، إلى وقت الظهيرة، وقد بلغ منهم الإعياء والعطش أقصاه. حتى أتى سلامة البكوش وقال له: الناس قد تعبت فاذهب مع أحدهم لتتغدى معه.

فيرد عليه الشيخ: وأنت خيرك! امشي جهز الغداء. فيذهب سلامة البكوش إلى بيته لإخبار أهله أن الشيخ سوف يتناول معهم الغداء، بينما يذهب الشيخ إلى دار إقامته.

يقول الراوي(1): وبعد ساعة بعثني عمي إلى الشيخ فوجدته في داره وعيناه حمراوان.

وعندما جاء وأحضر الغداء الذي كان (بازين بالحليب والسمن) صب الشيخ على الطعام عطراً زيتياً (بارازيته) فأكلنا الثلاثة دون أن نشم رائحة العطر أو نتذوق طعمه.

وفي أحد تلك الأيام ذهب الشيخ عبد القادر ومعه جمع كبير من أهل بوقدقود إلى برقن حيث مقر المديرية، التي وقف أمامها، وحضر عدد كبير من سكان برقن ذلك الموقف، فسال الشيخ عبد القادر المدير عويدات ارحومة: أنت مديرنا ولا مديرهم ـ يعني الفرنسيين، فأجابه المدير عويدات: ايش معنى هذا الكلام ـ

فرد عليه الشيخ: إذا «كانك» مديرنا نمزق العلم الفرنسي، وإذا «كانك» مديرهم قتلناك؟(2).

---

(1) علي نصر البكوش مقابلة شخصية مع الباحث.

(2) محمد ناجم الغول مقابلة شخصية مع الباحث.

فتخطف الكلام سكرتير المديرية في ذلك الوقت محمد أبو لموشة الحطماني وقال: نحن "معاكم" يا شيخ.

فأنزل الشيخ عبد القادر العلم الفرنسي، وصار يمزقه إرباً إرباً، على مرأى من ذلك الجمع الكبير من الناس، دون خوف من جنود فرنسا وبطشهم، ورفع بدلاً من ذلك العلم علماً وضعه شعاراً لانتفاضته، لونه أخضر ومكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

الأمر الذي جعل أحد الحاضرين يقول: هذا منشوف. يعني مجنون، فصاح في وجهه الشيخ عبد القادر قائلا: أنا أنشوف ماني منشوف. بمعنى أرى المستقبل الذي سوف تنزل فيه راية فرنسا في فزان ولست مجنوناً.

وكان في كل اجتماعاته ولقاءاته يقول لمخاطبيه: إن جنود فرنسا وأتباعهم لا يسمعون كلامه فيهم، ويمنع الناس أن يعطوا العشر، وهو زكاة التمور إلى الفرنسيين، لأنها ليست دولة اسلامية، بل يجب أن تعطى إلى الفقراء مباشرة.

ورأى الناس فيه كرامات وخوارق عادات كثيرة، والكرامة كما يعرفها علماء العقيدة: هي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبي مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح.

فهي إذن تستلزم الولي الذي تظهر على يديه تلك الكرامة، والولي هو الإنسان المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة.

وقد سُمي الولي ولياً؛ لأنه يتولى عبادة الله تعالى على الدوام؛ ولأن الله تعالى قد تولى أمره، فلم يكله إلى نفسه، أو إلى غيره، قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا

خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1]. وولاية الله تعالى للعبد أن يهديه إلى الإيمان به، وإلى معرفته وطاعته ومحبته ونصرة دينه، فيعمل العبد بذلك، فيقرب به من ربه حتى يحبه مولاه، فإذا أحبه قربه، وتولى أموره ونصره وحفظه، فكان بذلك وليه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾[2].

وأما ولاية العبد لله تعالى، فهي أن يؤمن به ويتقيه ويتقرب إليه بالطاعات، ويوافقه في محابه ومكارهه، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، وينصر دينه، وبذلك يكون ولياً لله تعالى، قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾[3].

وينتج من كثرة ذكرهم لله تعالى، ومداومتهم ومواظبتهم عليه ما يسميه أهل التصوف بالمعارج والمرائي، وهي كما يقولون نتائج الطريق الصوفي والسلوك إلى الله تعالى، وهذا ما حدث مع الشيخ عبد القادر بن مسعود، فقد كان يحدّث مجالسيه ومرافقيه عن أشياء قد حدثت بعد وفاته بعشرات السنين، فقد كان يقول لهم: من هذا المكان سوف تشرب القرية كلها، ويشير إلى الموضع الذي حُفر فيه بئر مياه الشرب بعد أكثر من عشرين سنة، ويقول لهم: من هنا سوف يأتي الضوء، ويشير إلى الجهة التي جاءت منها أعمدة التيار الكهربائي.

فالأولياء هم قوم قد وصلوا بطاعة الله تعالى إلى كرامة الله، فتفضل عليهم سبحانه بكرمه جزاء لهم على حسن الطاعة، وذل الخضوع والانقياد، فهم كمن

---

(1) سورة يونس، الآية: 62.
(2) سورة البقرة، الآية: 257.
(3) سورة يونس، الآية: 62.

يستشرف المستقبل بعين القلب، وهم كمن ينظر إلى ذلك المستقبل من علو.

والكرامة عند علماء أهل السنة والشيعة على حد سواء جائزة عقلا ونقلا، ولم ينكرها إلا المعتزلة[1]، فأما جوازها عقلا؛ فلأن وقوعها لا يترتب عليه محال، وأما جوازها نقلا فوقوعها فعلا في قصة مريم، وقصة أهل الكهف، وقصة عرش بلقيس، هذه القصص المذكورة في القرآن الكريم هي كرامات وقعت، وكذلك ما روي أن عمر ابن الخطاب قد رأى العدو على مسافة شهر، فقال: يا سارية الجبل، فسمع سارية صوته واتبع أمره.

وفي أحد الأيام التي أقامها الشيخ عبد القادر بن مسعود في قرية بو قدقود يُعد لانتفاضته بعث برسائل، إحداها إلى محمد عثمان الصيد في قرية (الزوية) بالشاطيء الشرقي، مع شابين من قبيلة الحطمان[2]، هما محمد ناجم الغول، وعيسى سعد يقول فيها: "إن ضغوط الفرنسيين ضد السكان قد بلغت حداً لا يطاق.

واقترح في رسالته تقسيم المناطق التي بها معسكرات فرنسية، تجنيد مجموعات انتحارية للهجوم على هذه المناطق[3].

وكان الشيخ عبد القادر يقصد من هذه الرسالة مساعدة سكان قرى وادي الشاطيء الشرقي في مقاومته ومحاربته للفرنسيين، وانتفاضته عليهم، غير أن محمد بن عثمان الصيد قد كتب له رداً طلب منه فيه التأني، وقد قصد من هذا الرد إقناعه بطريقة غير مباشرة ـ كما يقول ـ أن يعدل عن فكرته[4].

كما كتب الشيخ عبد القادر رسالة أخرى إلى وادي الآجال (وادي الحياة) يخبر

---

(1) أنظر تفسير الكشاف للزمخشري ج 2 ص 497.
(2) مذكرات محمد عثمان الصيد، ص 41
(3) المصدر السابق.
(4) المصدر السابق.

أهلها بموعد قدومه إليهم[1]، وعن نيته في محاربة الفرنسيين.

وقد قام الشيخ في هذه الأيام بزيارات إلى أضرحة الأولياء في قرى بوقدقود والقلة وبرقن والزهراء، وكانت كل هذه الزيارات مملوءة بالذكر والتهليل، وكان يردد فيها دائماً قصيدة البردة الشهيرة للإمام البوصيري، ملحنة ومصحوبة بالضرب على البندير، هذه القصيدة المبدوءة بالقول:

مــولاي صــلّ وسلــم دائمــا أبــدا　　علــى حبيبــك خيــر الخلــق كلهــم

فإذا انتهى منها، كان يردد عبارات وشعارات، يهيء أتباعه بها للقيام بالثورة على الفرنسيين، ويحرك بها مشاعر الحاضرين، ويحمس قلوبهم، غير أن بعضها مفهوم وبعضها الآخر غير مفهوم، وكان الحاضرون يرددون ما يقول، ويهتفون بما يسمعونه منه، ومن هذه الأذكار والأناشيد:

ديــــن ودنيــــا يــــا أسيــــاد　　حــــس ومعنــــى يــــا أسيــــاد

ومنها أيضا:

يــــا مجيــــب يــــا مجيــــب　　نصــــر عــــاجــل فــــرج قــــريــــب

ومنها أيضا:

جــــادوا أسيــــادي حــــس ومعنــــى　　جــــادوا أسيــــادي دنيــــا وديــــن

ومنها أيضاً:

شــــــاوش ملــــــك اللــــــه　　شــــــاوش ملــــــك الحــــــي

أكثر من نصف شهر أصبحت قرية بوقدقود ليلها كنهارها، لا تسمع في أرجائها إلا قصائد السادة الصوفية في الدعاء والاستغاثة بالله تعالى، ومدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأنها خلية نحل قد تفتحت أزهار الحدائق من حولها الكبار والصغار

(1) مقابلة مسعود محمد علي البكاي مركز جهاد الليبيين.

يلهجون بذكر الله تعالى، ممزوجاً بأصوات البندير، كأنهم يعزفون أنشودة النصر.

وكان ذلك من الشيخ عبد القادر من باب التهيئة النفسية، ورفع الروح المعنوية، والاستعداد لما سيلقاه أهل هذه القرية من استشهاد الأقارب والأحباب، وما سيتعرضون له بعد ذلك من صنوف الأذى والعذاب، من قبل جنود فرنسا.

يأمر أتباعه برفع العلم الذي اختاره شعارا لحركته، كل صباح وينزلونه في المساء، كما تفعل الحكومات في دوائرها الرسمية، يأمر فيطاع، وينهي فينتهي الأتباع، يمشي فيتبعه الإخوان، ويقول فيردد قوله الجميع.

كلامه مختصر مفيد، وهتافه شعارات ترددها الأفواه، رفض دائم ومستمر للاحتلال الفرنسي، وتذكير للمسلمين بالحال والمآل، ووعظ وإرشاد للاستمساك بعرى الشريعة الغراء، لأن الخلاص من هذا الحال في التمسك بتلابيبها، إذا تكلم سكت الجميع ليستمعوا ويفهموا، وإذا سكت دعا له الجميع في قلوبهم بالنصر على عدوه وعدوهم.

وربما كانت آخر زيارة قام بها إلى تلك الأضرحة، زيارته إلى ضريح الولي الصالح (سيدي بشير) بالزهراء. والتي خرج لها مساء يوم الخميس، وهو يمتطي فرس امحمد علي الحطماني[1]، ويركض بها في اقصى سرعتها، كأنه الفارس الماهر، الذي تمرس على ركوب الخيل منذ صباه، ويمر بها بين صفوف الحاضرين، وكأن لسان حاله يقول لهم: أنظروا أيها البدو، هذا فزاني يجيد ركوب الخيل، ألستم تقولون إن الفزاني يخاف من الخيل فلا يركبها، بينما اعتبر الحاضرون منه ذلك كرامة من كراماته الكثيرة، إذ لم يسبق له قبل هذه المرة في حياته كلها أن ركب الخيل، أو شارك بها في سباق أو قتال!!.

---

(1) رواية: عبودة عبد السلام مواليد بوقدقود الشاطيء 1915 م مقابلة شخصية مع الباحث.

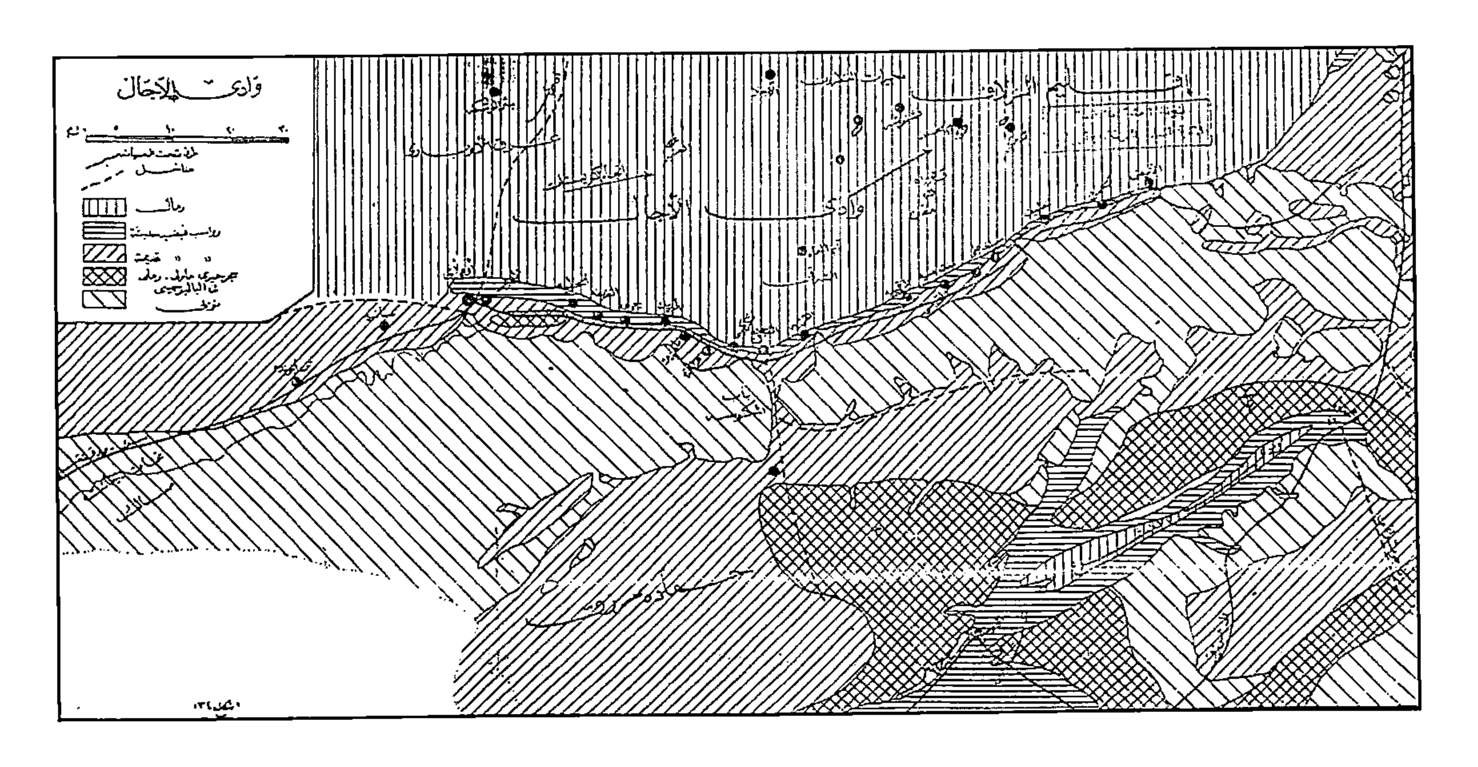
خرج الجمع من قرية بوقدقود إلى قرية الزهراء التي تبعد عنها نحو خمسة كيلو مترات وهم في تهليل وتكبير ممزوج بأصوات البندير تردد صداه الأودية والجبال التي تفصل القريتين.

وعند ضريح الولي الصالح (سيدي بشير) يقيم الشيخ عبد القادر ومن جاء معه من قرية بو قدقود (الحضرة) التي يتواجد لمشاهدتها كل سكان قرية الزهراء تقريبا، وتستمر حتى ساعات متأخرة من الليل، ثم يبيت ومرافقوه في الزاوية القادرية بالزهراء، ليعود في الصباح وقد عزم على السفر إلى وادي الآجال (وادي الحياة)، "فجمع أناس قرية بوقدقود وقال لهم: إنني ذاهب إلى الوادي، وإن مدتي معكم كإمام قد انتهت وبإمكانكم أن تجعلوا من يحل محلي ليصلي بكم، وليدرس أبناءكم فإنني قررت الذهاب والمضي في تنفيذ مهمتي، فحزنوا لذلك وتأثروا تأثراً شديداً لمفارقته لهم، ثم دعا لهم بالبركة، وتُليت فاتحة الكتاب كما جرت به العادة[1]، وترك معهم ابن أخيه عز الدين محمد مسعود، وكان طفلاً لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره، ليراجع مع الطلاب ما حفظوه من سور القرآن الكريم، ريثما يأتيهم من يحل محله في هذه المهمة، ووعد أهل القرية أن يبعث لهم إماماً من وادي الآجال يحل محله في الإمامة والتدريس وقد وفّى بما وعد.

سافر الشيخ بعد أن ودعه أحباؤه في بوقدقود والذين عبروا عن تعلقهم به ومحبتهم له وتأثرهم بما عقد عليه العزم ونواه، حيث وفروا له الدليل والزاد والراحلة والرفيق في الطريق حتى وصوله إلى قريته الفجيج، عرفانا بفضله في إمامتهم وتعليم أبنائهم، وقد بقي معه من اجتباه الله تعالى للجهاد والفوز بالشهادة في معركة قاهرة سبها.

---

(1) أبو بكر عثمان القاضي، مصدر سابق.


وادي الآجال
٣٠ ٢٠ ١٠ ٥ ٠ كم
رمال
رواسب فيضية حديثة
" " قديمة
حجر جيري مارل، رملة في الباليوجيني



# ثانياً

# في وادي الآجال
# (وادي الحياة)

يقول الراوي، وهو الدليل الذي كلّفه أهل قرية بوقدقود بمرافقة الشيخ عبد القادر في رحلة عودته إلى قريته الفجيج في وادي الآجال (وادي الحياة): «طلب مني الناس مرافقته إلى وادي الآجال، وقد كنت أنوي السفر إلى الغرب (طرابلس) وكان معنا: الفرجاني بن سالم، والأمين ضو عطيه، وكنا نحمل متاعنا على جمل»[1].

وقد كانت هذه الرحلة عبر الطريق الرملي المعروف في جغرفية فزان برمال (زلاف) وهي طريق تكثر بها الكثبان الرملية العالية، إلا أنها طريق مختصرة، فهي لا تزيد على مائة وعشرين كيلوا متراً تقريبا، وتتخللها أشجار النخيل، ويمكن حفر آبار مياه للشرب فيها لا يزيد عمقها على المترين، ولذلك يعتمد عليها أهل الشاطيء ووادي الآجال في التواصل بينهما.

يقول الراوي: «خرجنا في الصباح الباكر من قرية بوقدقود، واسترحنا في منتصف الطريق تقريبا عند برج[2] من أبراج النخيل للاستراحة والمبيت تحتها وتناول ما قسم الله تعالى لنا من الطعام، ثم واصلنا السفر في الصباح الثاني حتى وصلنا في المساء إلى بحيرة الطرونة[3]، ومنها انطلقنا إلى بحيرة مندرة التي زرنا فيها ضريح الولي الصالح (سيدي زايد) وأقمنا عنده الحضرة في الليل مع أهلها، الذين أكرموا الشيخ عبد القادر غاية الإكرام، ثم ودعناهم في الصباح متجهين إلى الفجيج التي لا تبعد عنها أكثر من عشرين كيلو مترا»[4].

---

(1) علي علي مادي الحطماني مقابلة شخصية مع الباحث.

(2) البرج مجموعة من النخيل المتلاصقة تكون فيما بينها ما يشبه حجرة الجلوس يستخدمها الناس للاستراحة والإقامة عادة.

(3) الطرونة ومندرة وقبرعون بحيرات مالحة موجودة في رمال زلاف قرب وادي الآجال وهي من عجائب الدنيا يأتي السائحون إلهيا من كل أنحاء العالم.

(4) علي علي مادي الحطماني ، مصدر سابق.

وعندما سمع أهالي وادي الآجال (وادي الحياة) بوصول الشيخ عبد القادر إلى بحيرة مندرة أسرعوا إلى لقائه واستقباله، فالتقوا به في موضع يقال هل: (مصلّى الشيخ)[1] يقع بين تكركيبة والفجيج[2].

وعندما أراد بعض رفاقه في هذه الرحلة العودة إلى وادي الشاطي، ودعهم الشيخ عبد القادر، وبعث معهم الصالحين ابن تامر إماماً لمسجد بوقدقود ومقرئا للقرآن الكريم لأطفال القرية بعده كما وعد أهلها عند توديعهم له، وقال لهؤلاء الرفاق: قولوا للجماعة، لقاؤنا إن شاء الله تعالى في سبها، وأن موعد الهجوم على قلعة قاهرة سيكون بإذن الله تعالى بعد النصف من شعبان وقبل العشرين منه[3].

غير أن بعض المجاهدين لم ينتظر إلى ذلك الموعد بل أسرع ولحق به في وادي الآجال وهم: على محمد عبد العزيز التونسي، وإبراهيم محمد عريدة السعيدي الحطماني، وكان قبلهما محمد مسعود زايد مع والدته هناك.

مكث الشيخ عبد القادر في قريته الفجيج ثلاثة أيام أو أربعة، ثم ذهب إلى قرية تكركيبة، وقال لأهلها: إن الإذن قد حصل له في الهجوم على الفرنسيين، وطلب من أهلها مشاركته في هذا الهجوم[4].

وفي اليوم التالي ذهب الشيخ عبد القادر ومعه عدد كبير من الناس إلى قرية قراقرة، وكان يخبر أهل كل قرية يأتي إليها بغرضه ونيته في الهجوم على الفرنسيين

---

(1) الشيخ الذي سمي هذا الموضع عليه، لأنه صلى فيه عند قدومه من الشاطيء إلى وادي الآجال هو الشيخ محمد الأمين الذي هاجر إلى تركيا سنة 1912 م بعد توقيع اتفاقية أوشي لوزان وأخذ معه مجموعة كبيرة من الليبيين إلى تركيا معظمهم من قبيلة الزوائد وسكن بهم في إقليم أدنا بتركيا وهم موجودون بها إلى الآن.

(2) علي علي مادي الحطماني، ومسعود محمد البكاي، مصدر سابق.

(3) علي علي مادي الحطماني ، مصدر سابق.

(4) مسعود محمد علي البكاي، مصدر سابق.

بقلعة قاهرة، ليطهرها من الفرنسيين، وأن عنده عدداً كبيراً من العساكر، وأن معه أهل الشاطيء كلهم، وأنه قد بعث إلى أهل الشاطيء لملاقاته في سبها، وأنه سوف يتصل بكل القرى في وادي الآجال من الغريفة إلى مدينة أوباري[1].

وعند اجتماعه بأهل قرية قراقرة، وذلك في الزاوية القادرية بها، التقى بالشيخ الطيب الذي كان مظلوماً من قبل أحمد سيف النصر، ووعده بأن يأخذ له حقه منه[2].

ثم زار كذلك قرى الخرائق وتويوة والفخفاخة وبريك وتوش وجرمة والغريفة، وكان الشيخ عبد القادر خلال هذه الزيارات يأمر الناس بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويطبق أحكام الشريعة الاسلامية على المخالفين لها، ومن ذلك أنه أقام الحد الشرعي على الذين ثبتت عليهم جريمة شرب الخمر، ومن بين الذين نُفذ عليهم الجلد بسبب ثبوت تعاطيهم الخمر (واسلي) من الغريفة و(جبريل كوكلة) وكذلك أمر بإخراج الحصر من المساجد، وأن يؤدي الناس الصلاة على الأرض قائلاً لهم: إنا سنهجم على الفرنسيين والصلاة على الأرض أفضل[3].

وفي قرية القعيرات طلب أهلها منه الإذن في انشاء مسجد، فاعترض على هذا الأمر المدير الحاج محمد شلقم الحطماني بحجة أن الناس سوف تترك الجامع العتيق، فرد عليه الشيخ عبد القادر قائلاً: نحن الآن نريده جامع أوقات، وسيأتي أحد العلماء بعدنا ويتخذه جامعاً لصلاة الجمعة، وانتهى الحوار بينهما عند هذا الحد، لما يكنه الشيخ عبد القادر من احترام وتقدير للحاج محمد شلقم بسبب تقديمه الدعم المالي سراً لحركته، ويبادله الحاج محمد شلقم ذلك الاحترام والتقدير لما يتمتع به الشيخ عبد القادر من صلاح وتقوى.

---

(1) المصدر السابق.

(2) أبو صلاح بن علي، مصدر سابق.

(3) مسعود محمد علي البكاي، مقابلة مع مركز الجهاد.

ومن قرية القعيرات اتجه الشيخ في رحلته إلى قرى الحطية والديسة وانتهاء بمدينة أوباري التي كان قد عقد العزم على مداهمة حاميتها، غير أنه لم يجد بها من الجنود الفرنسيين العدد الكافي الذي يستحق أن يضحي بنفسه ورفاقه من أجله.

وكانت تعقد في كل قرية من هذه القرى مجالس للدروس الدينية، يلقي في بعضها الشيخ عبد القادر الدروس والمواعظ الدينية التي يشرح فيها فكره الجهادي، ويبين فيها خطورة تواجد الأعداء على أرض الوطن، ويذكر الناس بمساوئه، والشرور والمفاسد التي حلّت بالبلاد وانعكست على العباد منذ أن داست أقدامهم القذرة تراب الوطن، ويحمس الناس للثورة عليهم، ويلهب مشاعرهم وينمي في نفوسهم وازع الجهاد والاستشهاد، ويدعوهم للمشاركة في الهجوم عليهم، لتحرير البلاد منهم، وخلاص العباد من ظلمهم، وكان يستشهد في هذه الدروس بالايات القرآنية التي تأمر بالجهاد وتحث عليه، وتصف الشهداء، وتذكّر بما أعده الله تعالى لهم من صنوف النعيم، مثل قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[1]. وبعد هذه الدروس عادة تقام حلقات الذكر ونوبات الحضرة التي تنشد فيها قصائد الصوفية، ملحنة بألحانهم الشذية، مصحوبة بموسيقاهم الندية التي أساسها الضرب على الدفوف (البنادير) وبعد الانتهاء منها يردد الشيخ هتافاته المعهودة وأناشيده التي يحمس بها الحاضرين ومنها:

يــــا جمهـــــور القــــادريـــــة    صفـــوا النيـــة صفـــوا النيـــة

لـرفـع الـرايـة الـمـحـمـديـة

---

(1) سورة التوبة، الآية: 111.

على أن بعض الفقهاء والمفسرين قد وقفوا من السماع (الحضرة) موقف المعارضة، وذلك عندما صار علم الشريعة علمين منفصلين: أحدهما علم الأعمال الظاهرة التي تجري على أعضاء الجسم وجوارحه في العبادات كالطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج، والمعاملات كالحدود والعتق والبيوع والفرائض والقصاص.

وثانيهما: علم أحوال القلب الذي يدل على الأعمال الباطنة، ويبين الطريق إليها، وكيفية التحقق بالكمال منها، ويسمى علم القلب بعلم الحقيقة، بينما يسمى علم الأعمال الظاهرة بعلم الشريعة، فانفصل ما بينهما من اتصال، وبذلك بدأ الخلاف العنيف بين الفقهاء والصوفية، رغم أن الصوفية كانوا فقهاء، ورغم أن التصوف في حقيقته السليمة لا يمكن أن يقوم إلا على التفقه في الدين، وأن الصوفية قد أخذوا بحظ وافر من الدراسة التي تقوم كعلم على النقل والعقل، حتى تميزوا عن الفقهاء أنفسهم بتفقههم في الدين فقهاً أبان لهم أسرار وقواعد وأصول التصوف، وكانت لهم في ذلك مجالات واسعة في علوم الأخلاق والنفس والوجدان[1].

فالولي عند الصوفية هو الراغب في طريق الله، والسالك المجد إليها، فترد على قلبه معانٍ وخواطر، وتتغاير عليه أمور وأوصاف، وهذه الأمور إذا ثبتت واستقرت ولازمت الولي ولم تفارقه، وأصبحت له سلوكا ومنهجاً سماها أهل التصوف بالمقامات، فالمقام عندهم ما يتحقق الولي به من التوبة والزهد والورع والخوف من الله تعالى والرجاء فيه، والمقامات عندهم درجات ومراتب، هي مقام التوبة، ثم مقام الزهد، ثم مقام التجريد في الظاهر والباطن، ثم مقام الصديقية والشهادة، ثم مقام الرضا، ثم مقام المحبة, وهي أعلى المقامات، وقد عبّر ابن الفارض سلطان العاشقين وإمام المحبين فوصف هذا المقام مقام المحبة، وهي أعلى المقامات، وصف من

(1) أنظر الفلسفة الصوفية في الإسلام د. عبد القادر محمود دار الفكر. ص 606.

عرف فآمن وعاش فجرّب فعرف الحب الالهي وسعد به حيث يقول:

و الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل　　فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عنا　　وأوله سقم وآخره قتل
ولكن لديّ الموت فيه صبابةً　　حياةٌ لمن أهوى علي بها الفضل
نصحتك علماً بالهوى والذي أرى　　مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو
فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به　　شهيداً وإلا فالغرام له أهل
فمن لم يمت في حبه لم يعش به　　ودون اجتناء النحل ما جنت النحل

وعبرت عنه رابعة العدوية بقولها:

أحبك حبين حب الهوى　　وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى　　فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي هو أنت أهل له　　فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الفضل في ذا ولا ذاك لي　　ولكن لك الفضل في ذا وذاكا

أما إذا كانت تلك الأوصاف عارضة سريعة الزوال، فتأتي ثم تمضي، وتحل ثم تذهب سمّاها أهل التصوف بالأحوال، وإذا كانت أعمال الإنسان هي حركة الجسم بالمجاهدة، فإن أحوال الولي هي حركة القلب بالمكابدة، فهي إذن تنتج عن تلك المقامات السامية فتتولد في النفس أحوال لها أيضاً مراتب وأسماء هي: حال الشوق، وحال الأنس، وحال القرب، وحال الحياة.

والسماع (الحضرة) يحقق للصوفي ذلك أو يقر به منه، لذلك أباحه كثير من الفقهاء والمفسرين، منهم: أبو طالب الذي نقل «إباحة السماع عن جماعة، فقال: سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية وغيرهم، وقال: قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان، وقال: لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الايام المعدودات التي أمر الله تعالى عباده فيها بذكره كايام التشريق، ولم يزل

أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا»[1].

وقال القشيري: «ضُرب بين يدي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم دخل المدينة فهمّ أبو بكر بالزجر فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعهن يا أبا بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح. فكن يضربن ويقلن: نحن بنات النجار حبذا محمد من جار»[2].

«وقيل لأبي الحسن بن سالم: كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يسمعون؟ فقال: وكيف أنكر السماع وقد أجازه من هو خير مني، فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب بالسماع»[3].

وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع، وصنف فيه كتاباً، رد فيه على منكريه، وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه[4] كتباً.

«وقال الجنيد: تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع، عند الأكل؛ لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند الذكر لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين، وعند السماع: لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً»[5].

غير أن بعض الفقهاء قد هاجم الصوفية في السماع والوجد ويحتجون بأنه لم ينقل عن أحد ممن يقتدى به أنه يسقط من خشية الله تعالى عند الضرب بالدف، والإيقاع بالرقص والجذب، بل جاء عن العلماء التحذير من ذلك، والإنكار الشديد

---

(1) مكاشفة القلوب للإمام الغزالي دار ثقافة القلم العربي القاهرة ط1 سنة 1990م ص 276 .177

(2) تفسير القرطبي 14/ 56 57.

(3) مكاشفة القلوب للغزالي ص 277.

(4) مكاشفة القلوب للغزالي ص 278.

(5) المصدر السابق ص 279.

على من فعله، فقد جاء في تفسير القرطبي: "سُئل الإمام أبو بكر الطرطوشي عن رجال يجتمعون فيكثرون من ذكر الله تعالى، وذكر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم، ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشياً عليه، هل الحضور معهم جائز أم لا؟

فأجاب: هذا المذهب بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعبّاد العجل، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة، ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى، وإنما كان يجلس النبي ـ صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغي منعهم من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين"[1].

وإزاء هذا التشدد من الفقهاء في حق هؤلاء الصوفية وفعلهم، كان ردهم عليهم شديداً أيضاً، فقالوا قولهم المشهور: من ذاق عرف ومن حُرم انحرف، بمعنى أن من ذاق مقاماتهم وحده الذي يعرف أحوالهم، ومن حرمه الله تعالى من ذلك فقد انحرف عن الحق. ونظموا هذا المعنى شعراً فقالوا:

علـم التصـوف علـم ليـس يعـرفـه    إلا أخـو فطنـة بـالحـق معـروف
وليـس يعـرفـه مـن ليـس يشهـده    وكيـف يشهـد ضـوء الشمـس مكفـوف

وقالوا أيضا:

وإذا لـم تـر الهـلال فسلـم    لأنـاسٍ رأوه بـالأبصـار

ولكن القول الذي يتوسط بين الأمرين هو قول الفقيه الصوفي أحمد زروق في

---

(1) تفسير القرطبي 11/ 237.

قوله: من تصوف ولم يتفقه فقد تفسق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق، أي قد وصل إلى الحقيقة، التي هي غاية كل صوفي ومقصد كل فقيه، لأنه قد جمع بين الشريعة وهي الفقه وأحكامه، والتصوف بأصوله وقواعده، ولا انفصال بينهما.

وكان الشيخ عبد القادر بن مسعود يتخذ من الاجتماع في الزاوية القادرية في كل قرية يزورها، وما يصاحب هذا الاجتماع من حضرة وبندير وسيلة لتشجيع الناس على الثورة ضد الفرنسيين، وكانت طريقته إخبار كبار أهل كل قرية بعزمه على مجاهدة ومهاجمة الكفار الفرنسيين، وهم بدورهم يخبرون أهالي قراهم[1].

وفي هذه الرحلة التي مرّ فيها على كل القرى الواقعة غرب قريته الفجيج، من تكركيبه إلى أوباري، اجتمع له أكثر من مائتي رجل، فاجتمع بهم في بيت الشريف عبد الكريم، وأخبرهم أنه سوف يدخل القلعة في قاهرة ويهجم على الفرنسيين، وفي ذلك الاجتماع خلط لهم الوقائع بالكرامات، حيث قال لهم: إن الاتصال بين سبها وأوباري سيتم بسرعة (يعني عبر الهاتف) وكذلك بين طرابلس وأوباري، وأن السيارة والطائرة سوف تصبح بأيدي العرب يملكونها ويقودونها[2].

وكان الشيخ عبد القادر يحصل على الأموال اللازمة لذلك كله من التبرعات السرية، وذلك خوفاً من الفرنسيين[3]، ومن أبرز من كان يقدم له تلك المساعدات المالية مدير الغريفة الحاج محمد شلقم الحطماني.

وبعد عودته من هذه الرحلة بقي الشيخ عبد القادر في قريته الفجيج ثلاثة أيام، يقضي ما عليه من الحقوق تجاه أهله وأقاربه، ومن كانت له عنده أمانة أو حاجة؛ لأنه

---

(1) مقابلة مسعود محمد علي البكاي مركز الجهاد بتاريخ 12/ 8/ 1979.

(2) المصدر السابق.

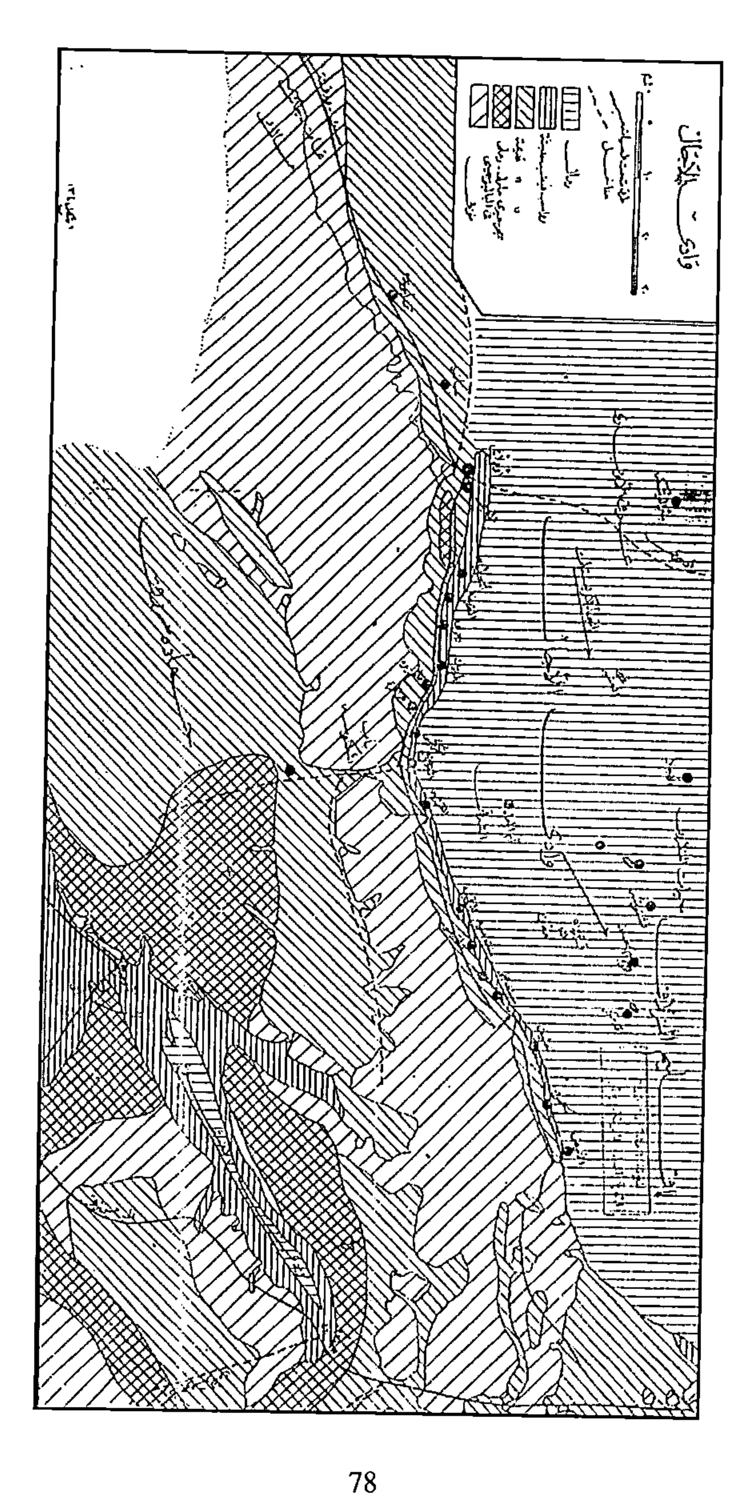
(3) المصدر السابق.

سوف يسافر سفرمودع[1]، بعدها دعا الناس إلى اجتماع كبير، حضره سكان قرية الفجيج، وعدد كبير من رفاقه، ومن سكان القرى المجاورة، عقده تحت شجرة (أثل) قرب بيته، بدأه بحمد الله تعالى، والصلاة على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بالوعظ والإرشاد ليخلص بعد ذلك لمهاجمة الفرنسيين، وتحريض الحاضرين على التمرد عليهم والجهاد ضدهم، ورد الظلم عن الناس، بإعلان الجهاد المقدس الذي فرضه الله تعالى على عباده المؤمنين، ثم قال: «إنني ذاهب للهجوم على قاهرة لأنهي الحكم الفرنسي على فزان ولأطهر بلدنا من دنسهم، مزّق الله حكم الفرنسيين ولم تعد لهم أية قائمة، فمن أراد الذهاب معي فليفعل ومن أراد البقاء وله ظروف لا تسمح له فليبق، فإنني عاقد النية في الهجوم على قاهرة، وقد حدث هذا بصورة علنية وبصوت مسموع، ودون خوف من أحد أو ارتباك، فأعمى الله تعالى بصيرة الفرنسيين فما علموا عن هذا الأمر شيئاً، ورفع العلم الذي اتخذه لثورته وجهاده منذ إقامته في الشاطىء، وكان لونه أخضر قد كُتب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)[2]، ولا اعتبار لما جاء في إحدى الروايات[3]: أن لون العلم أسود وبه نجمة وهلال، وذلك لأن صاحب هذه الرواية لم ير هذا العلم، وإنما سمع عنه، وكما يقال: ليس من رأي كمن سمع وليس الخبر كالعيان.

وفي هذا الاجتماع أخبر الشيخ عبد القادر الحاضرين أنه شكل حكومة على رأسها محمدعثمان الصيد وعضوية الحاج أحمد قريش والأمين ضو عطية والحاج الهمالي نصر الهمالي ومحمد ناجم الغول، وأن هؤلاء كلهم عندهم علم بالحركة في رسائل متداولة بينهم[4].

---

(1) مقابلة مسعود محمد البكاي مصدر سابق.
(2) مذكرة أقارب الشهيد عبد القادر بن مسعود إلى الأخ أمين المؤتمر الطبي الأساسي ومرافقه
(3) مذكرات محمد عثمان الصيد مصدر سابق
(4) رواية أبو صلاح بن علي أبو صلاح مصدر سابق.



وبهذا الاجتماع تكون قرى وادي الحياة قد انهت نصف شهر تقريبا في حركة دائبة مستمرة في ذكر متواصل لله تعالى لا ينقطع ليلها كنهارها، أينما حلّ الشيخ حلّ معه التهليل والتكبير وصوت البندير، وأينما ارتحل ينتقل معه الجمهور ويكثر المشي والمرور، ولو حاولت أن تبحث للمنظر عن شبيه لقلت: إن هذه القرى قد تحولت إلى خلايا نحل، كل ما فيها ومن فيها يحاول أن يرضي الشيخ مع الفارق المعلوم في هذا التشبيه، إنهم جنود بلا مهايا ومرتبات، وخدم وعبيد بلا رق ولا مكاتبات، ولكنه الاحترام والتقدير والإعجاب عندما يختلط هذا كله بالأمل في الخلاص والنجاة من القناص الفرنسيين يسومونهم سوء العذاب ، وينهشون أموالهم، كما تنهش في الجيف الكلاب.

إنهم يرون فيه البطل الذي يعبر عن قضايا الناس الذين تربطهم به الروابط الاجتماعية، فيبذل نفسه رخيصة من أجل تحقيق أمانيهم وتبدأ رحلة أخرى من رحلات هذه الانتفاضة المباركة.

بعد ذلك الاجتماع الذي عقده الشيخ عبد القادر قرب بيته يوم الجمعة وأظهر فيه عزمه على السفر إلى سبها، خرج برفاقه الذين اقتنعوا بمبدئه، ووافقوا على فكره، ورضوا بأن يكونوا معه في رحلته الجهادية ضد الفرنسيين لتحرير البلاد من أدنا سهم، وذلك صباح اليوم التالي، السبت السادس من شهر شعبان 1368 هـ الموافق 1949/6/4 م، وليس كما قال أحد الرواة[1]: بأنه خرج من قرية الفجيج يوم السبت الرابع من شهر شعبان، ولعل هذا الخطأ من الطباعة، حيث كتب العدد بالأرقام وليس بالحروف، وذلك لأن حساب الأيام لا يوافق قوله.

وكان هؤلاء الرفاق معظمهم من أقاربه، أو الذين جاءوا معه من الشاطيء، أو وفدوا إليه منها، حيث كان تسعة من هؤلاء المجاهدين من قرية الفجيج وهم:

---

(1) أبو بكر عثمان القاضي مجلة الشهيد مصدر سابق.

1. عبد القادر بن مسعود.
2. صالح بن علي بن أبو صلاح.
3. عمار عبد السلام البكوش.
4. الأمين عبد السلام البكوش.
5. حبيب محمد أحمد.
6. عبد السلام محمد أحمد.
7. أده علي أبو صلاح.
8. أحمد علي مسعود.
9. محمد المحمودي.

بينما كان ستة من هؤلاء المجاهدين قد جاءوا من الشاطيء أو لحقوا به منها وهم:

1. الفرجاني سالم البكوش الحطماني.
2. علي محمد عبد العزيز التونسي.
3. ابراهيم محمد عريدة السعيدي الحطماني.
4. الصويعي الطيب.
5. محمد مسعود زايد.
6. بشير مسعود الحطماني.

وكان معه من قرية تكركيبة:

1. البكاي عثمان البكاي.

2. مسعود محمد علي البكاي.

3. عبد القادر محفوظ علي.

وكان معه من قرية توش:

عبد الرزاق محمد بن هويدي.

وقد صادف خروج المجاهدين من قرية الفجيج قاصدين سبها مع سفر أربعة من أولاد الحضيري إلى سبها في رحلة عودتهم إلى أهلهم وهم:

1. محمد محمد الأحيرش.

2. مصباح محمد الأحيرش.

3. محمد عبد السلام المرابط.

4. أبو بكر عثمان القاضي.

وبذلك يكون عدد الذين خرجوا من قرية الفجيج قاصدين سبها ثلاثة وعشرون رجلاً، وليس كما قال أحد الرواة[1]:

وقد تبعه في هذه الرحلة حوالي ثمانية عشر رجلا تقريبا وكنت أنا من ضمنهم.

وقد حاول بعض الناس من قرية الفجيج الخروج معهم فوافق لأحدهم لما وجد فيه من إصرار وتصميم، رغم صغر سنه، وهو ابن أخيه: أحمد علي مسعود، ورفض خروج عمر عثمان الحبيب، الذي كان مؤذن الجامع في قرية الفجيج، واصر على الذهاب معهم، غير أن الشيخ عبد القادر طلب منه البقاء بسبب وظيفته.

وفي توديع هذا الركب خرج كل سكان قرية الفجيج، ومعظم سكان القرى

---

(1) أبو بكر عثمان الحضيري مجلة الشهيد مصدر سابق.

المجاورة لها، ونفوس الناس قد اختلطت فيها مشاعر الخوف عليهم والأمل في نصرهم على عدوهم، لتحرير البلاد، وفي هذه الأثناء نادى محمد علي البكاي قائلا: شيخ عبد القادر. شيخ عبد القادر.

فرد عليه الشيخ عبد القادر قائلا: عارفك شنو تبيني، ولدك مسعود يرجع لك[1].

الأمر الذي يشجع زوج أخته: عثمان البكاي، فيناديه أيضا: شيخ عبد القادر.

فيرد عليه قائلا: عارفك شنو تبيني، ولدك البكاي بيموت. ويناديه ثالث: أبو صلاح بن علي قائلا: شيخ عبد القادر. انحصلوا - يعني إذا ذهبنا معك نحصل على شيء من الغنائم. فيرد عليه الشيخ عبد القادر قائلا: اتحصل واحدة هنا، ويشير باصبعه إلى جبهته، يعني تحصل على رصاصة في جبهتك فتموت، يقصد إننا ذاهبون للاستشهاد ولسنا ذاهبين إلى الغنائم، فمن أراد الشهادة فليذهب معنا.

ويمر هذا الركب على كل قرى وادي الآجال (وادي الحياة) الواقعة شرق قرية الفجيج حسب ترتيبها، من قرية لاركو ثم قرية القراية، التي وصلوا إليها مساء ذلك اليوم، وباتوا فيها ليلتهم، وفي صباح اليوم التالي السابع من شهر شعبان خرجوا منها متجهين شرقاً إلى قرية الرقيبة التي وصلوا إليها مساء ذلك اليوم، وباتوا فيها الليلة الثانية، وخرجوا منها صباح يوم الأثنين متجهين إلى قرية التناحمة، ومنها إلى قرية بنت بيّه التي باتوا فيها الليلة الثالثة، وفي الصباح أعطاهم شيخ القرية: النور بن الطاهر جملاً ركبه الشيخ إلى قرية الأبيض[2].

ومن قرية بنت بيّه اتجهوا شرقاً إلى قرى: الزويّة، والقلعة، وخليف، والحمرة، وبن حارث، حتى وصلوا إلى قرية الأبيض، فباتوا فيها الليلة الرابعة، وفي

---

(1) مسعود محد علي البكاي مصدر سابق.
(2) أبو صلاح بن علي أبو صلاح مصدر سابق.

صباح اليوم الخامس غادروها متجهين إلى سبها، بعد أن استأجروا جملين من أحد سكان الأبيض وهو: العجيلي بريني بن ميلاد، الذي رافقهم لإعادة الجملين بعد وصولهم إلى سبها، وذلك لحمل أمتعتهم، التي يبدو أنها زادت بما كان يهديه إليهم أهالي القرى التي مروا بها، وكانوا قبل ذلك يحملون أمتعتهم على الحمير.

وكان الناس في هذه القرى جميعا، يستقبلونهم أحسن استقبال، ويكرمونهم غاية الإكرام، ويودعونهم أروع توديع، كأنما يقيمون لهم ألأعراس في هذه وتلك.

ورغم تلك الأحاسيس الطيبة النبيلة، والعواطف المخلصة الجياشة في الاستقبال والتوديع، فإن الشيخ عبد القادر قد خرج من هذه الرحلة كما يقال في المثل العربي القديم إن صح في هذا المقام صفر اليدين، في جانب الإعداد لانتفاضته ضد الفرنسيين، إذ لم تنفع في أهالي هذه القرى تلك الدروس والمواعظ وحلقات الذكر التي كان يقيمها، ويحث فيها الناس على الثورة ضد الفرنسيين ويستنهض الهمم ضدهم، وذلك لأن القيام بالثورة لا يتوقف على مجرد وجود الظلم والإحساس به فحسب، بل لابد من توفر الرغبة لدى المظلوم في رفع هذا الظلم.

أقول ذلك: لأن سكان هذه القرى لم يشارك منهم أحد معه في هذه المعركة، فكان حال هذه الرحلة في قرى الوادي الشرقي من قرية لاركو إلى قرية الأبيض أسوأ من رحلته في قرى الوادي الغربي من قرية قراقرة إلى مدينة أوباري، التي لم يشارك منها إلا مجاهد واحد من قرية توش، أما باقي القرى فلم يشارك منها أحد في هذه المعركة.

وبذلك انحصر المشاركون معه في الجهاد من قرى وادي الحياة كلها في ثلاث قرى هي: قريته الفجيج، وقرية تكركيبة، وقرية توش، مثلما انحصر المشاركون معه من قرى وادي الشاطيء في سبع قرى، هي قرى مديرية برقن وهي: بوقدقود، والقلة، والزهراء وقصر العرائسية، وبرقن، وقطة، أما باقي قرى وادي الشاطيء فلم يشارك منها أحد في هذه المعركة.

وفي مساء ذلك اليوم العاشر من شهر شعبان، وصلوا إلى بئر ماء معروف بين الأبيض وسبها يقال له: (مرشان) ليستريحوا عنده، ويبيتوا تلك الليلة، يقول الراوي: «وفي منتصف الطريق بين سبها والأبيض استرحنا في ذلك المكان، وكان الليل قد قرب، فنمنا هناك، وفي الصباح الباكر صلّى بنا الصبح، ثم باشرنا في الإعدادلوجبة الإفطار، وبعد أن أفطرنا وشربنا الشاي أمر بإخراج السلاح، فكان معنا أربع بنادق من صنع إيطالي، وثلاثة سيوف، فجرّبوا تلك البنادق، وأطلقوا بها عدة عيارات نحو أهداف معينة فكانت أغلب الطلقات تصيب الأهداف المحددة لها حيث يوجد معنا هدّافون، وكان على رأسهم: الفرجاني بن سالم الحطماني»[1].

وبعد الانتهاء من هذه الدورة التدريبية السريعة لمن لا يجيدون استعمال السلاح والتصويب به، واصل الشيخ عبد القادر ورفاقه الرحلة إلى سبها.

وقد اختلفت الروايات في عدد البنادق التي كانت مع هؤلاء المجاهدين رغم قلتها، ففي رواية أنها اثنتان[2]، واحدة أعطاها الحاج أحمد قريش للشيخ عبد القادر وهي: (دقرة) والثانية عند المجاهد الفرجاني بن سالم البكوش، كان قد أودعها عنده ابن عمه العجيلي سويسي البكوش قبل سفره إلى طبرق، وهي (أبو مشط).

وفي رواية أنها ثلاث الاثنتان السابقتان والثالثة كانت مع المجاهد سالم اصليليخ الذي التقى بالمجاهدين في سبها.

وفي رواية ثالثة أنها أربع[3]، ولم يذكر هذا الراوي عند من كانت هذه البندقية الرابعة.

---

(1) أبو بكر عثمان القاضي مجلة الشهيد مصدر سابق.

(2) رواية مسعود محمد علي البكاي ورواية عبد القادر محفوظ مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

(3) أبو بكر عثمان القاضي مجلة الشهيد مصدر سابق.

والذي نرجحه أن عدد البنادق التي كانت مع المجاهدين في موضع (مرشان) اثنتان، وعند الهجوم على القلعة صارت ثلاث بنادق، لانه كما هو معلوم في علم الرواية: من حفظ حجة على من لم يحفظ، وكان مع المجاهدين في هذا الموضع سيف واحد، أخذه الشيخ عبد القادر من الزاوية القادرية في توش[1].



---

(1) رواية مسعود محمد علي البكاي ورواية عبد القادر محفوظ مركز جهاد الليبيين.



# ثالثاً

# في سبها

في مساء ذلك اليوم الحادي عشر من شعبان وصل الشيخ عبد القادر ورفاقه إلى مدينة سبها، وبمجرد وصوله إلى مشارف حي الجديد سمع الناس في هذا الحي بقدومه، فخرجوا لاستقباله؛ ولأنه كان ينتمي إلى الطريقة الصوفية القادرية، فقد اتجه إلى الزاوية القادرية، وحلّ ضيفاً على أتباعها[1]، فاستقبله الإخوان في الطريقة أحسن استقبال؛ لأن شيخهم عبد الرحمن بن حسن قبل وفاته بأيام قليلة قد أخبرهم أن أناساً سيأتون إليهم على هيئة صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمرهم أن يحسنوا إليهم[2]، وعند دخوله إلى الزاوية القادرية طلب من رفاقه أن يضعوا البنادير من أيديهم، وأن يصفقوا، وهم يهتفون:

نبـــــوه نهـــــار علـــــى الكفـــــار     احنـا فـي الجنـة وهـم فـي النـار[3]

وأقام الشيخ عبد القادر ورفاقه في الزاوية القادرية بالجديد أربعة أيام «كانت مليئة بالحركة والنشاط حيث اجتمع بأعيان البلدة، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد الرحمن البركولي[4]، وكان أحياناً يجتمع بالشيخ البركولي على انفراد»[5]. وقد حكى أحد الرواة[6] الحوار الذي دار بينهما، وزعم أنه شاهد عليه فقال: قال البركولي للشيخ عبد القادر: إن شاء الله تكون زيارة مقبولة.

فردّ عليه الشيخ عبد القادر زيارة و«معاها».

---

(1) أبو بكر عثمان القاضي ومسعود محمد علي البكاي وعبد القادر محفوظ مصادر سابقه.

(2) مسعود محمد علي البكاي مصدر سابق.

(3) عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.

(4) الشيخ عبد الرحمن البركولي من مواليد الجديد بسبها سنة 1324 هـ – 1906 م درس في جامع الزيتونة بتونس وتخرج منه وهو من أشهر علماء فزان في ذلك الوقت.

(5) أبو بكر عثمان القاضي مجلة الشهيد مصدر سابق.

(6) عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.

فقال البركولي: شنو «معاها»؟

فأجابه الشيخ عبد القادر: نبوا نهجموا على قاهرة ونكسرو فرنسا وإن شاء الله انكوّنوا دولة لينا ولأولادنا، وإن شاء الله تكون دولة محمدية.

فقال له البركولي: كلامك صحيح، لكن انترجاكم أن تصبروا شوي، أمهل شوي فرد عليه الشيخ عبد القادر غاضباً: هذا أمر يكيدك. تتدخل أنت؟!

فقال البركولي: يارجال التسليم.

ثم قام الشيخ عبد القادر، وقبّل رأس البركولي وقال له: أنت شيخنا، وأنت سيدنا، وأنت عالمنا، والحال اللي عليها المسلمون ما وراءها حياة، لكن هذا الأمر لا تتدخل فيه.

فقال له البركولي: يا سيدي نحنا مانا معاكم.

وكان الشيخ عبد القادر يعتقد أن الشيخ عبد الرحمن البركولي سيكون سنداً له ومؤيداً، وبذلك سوف يكون عدد كبير من أولاد الحضيري معه في هذا الهجوم، وكان يقول للناس في وادي الحياة: إن هذا الأمر معلق على موافقة الشيخ عبد الرحمن البركولي وتأييده وعونه[1]. وإذا حدث الهجوم فإن أهل سبها سيكونون معه في الهجوم غير أن الشيخ البركولي قد عارض في هذا الهجوم، وتبعا لذلك لم يشارك أحد من أولاد الحضيري معه في الهجوم على القلعة، وهم الذين كان الشيخ عبد القادر يسمع منهم كلاماً يدل على موافقتهم ورغبتهم في المشاركة غير أن العمل قد خالف القول.

والذي نراه: أن الشيخ البركولي يرى بعين الواقع أن هذه المجموعة القليلة من المجاهدين، وبهذا العتاد الضئيل، لا يمكن أن تنتصر، وتحقق الفوز على قوات فرنسا

---

(1) أبو صلاح بن علي أبو صلاح مصدر سابق.

الكثيرة المدججة بمختلف الأسلحة الحديثة الخفيفة منها والثقيلة، هذه القوات التي انتصرت على قوات إيطاليا القوية المدربة، التي يتخرج قادتها من أرقى الأكاديميات العسكرية في العالم.

وإذا لم يكن الهدف من المعركة الفوز على العدو فإن عدم خوضها، وتأجيلها إلى وقت آخر قد تتوفر فيه الإمكانات يكون أكثر فائدة.

أما الشيخ عبد القادر فإنه يرى بعين المجاهد الذي يطلب الشهادة، والمؤمن الذي يرجو دخول الجنة، وهذا يتحقق - إن شاء الله تعالى - بمجرد الهجوم على هذه القلعة الحصينة، مع النية الخالصة أن عمله هذا لوجه الله تعالى، وهذا فيما نظن السبب في اختلافهما.

وبعد صلاة الظهر في اليوم الرابع من إقامتهم في سبها جمع الشيخ عبد القادر رفاقه في زاوية الشيخ عثمان العالم الحضيري، وألقى فيهم درساً عن الجهاد في سبيل الله تعالى، استرشد فيه بآيات من القرآن الكريم تحث على الجهاد وتدعو إليه، منها قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيماً وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿قال

---

(1) سورة الفتح، الآية: 10.

(2) سورة الفتح، الآيات من: 18 إلى 23

الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾[2].

وبعد هذا الدرس كرّر الشيخ عبد القادر الإذن لمن يريد من أتباعه ورفاقه الرجوع إلى أهله لعدم رغبته ونيته في المشاركة في الجهاد، أو تأثره بكلام الشيخ عبد الرحمن البركولي، وطلب من الموافقين على المشاركة في الهجوم على قلعة قاهرة العهد والقسم على المصحف الشريف بصيغة يقولها وهم يرددون وراءه:

«بحق هذا الحق الذي ما بعده حق ألا نخون وأن نمشي معك أينما تريد»[3].

فأقسم الغالبية العظمى منهم بهذا القسم، ولم يؤد هذا القسم واحد منهم هو: عبد القادر محفوظ علي، الذي زعم في روايته أنه قال للشيخ عبد القادر: «أنا لا أحلف، أنا معكم ظاهراً وباطناً، ولكن بدون سلاح لا نستطيع الهجوم»[4]. وكان الشيخ عبد القادر، قبل ذلك يقول لهم: إن السلاح الذي معنا يكفي، يقصد حسب الخطة الموضوعة، وأننا سوف نحصل على السلاح من الفرنسيين[5].

وكان الشيخ عبد القادر خلال إقامته بالجديد قد طلب من حداد الحي في ذلك الوقت، حسن مشمور، وهو أحد سكان الجديد أن يصنع له سيفا وسكاكين، فصنع له ما طلب في سرعة وإتقان.

---

(1) سورة البقرة: الآية: 249.
(2) سورة الأنفال: الآية: 65.
(3) مسعود محمد علي البكاي مصدر سابق.
(4) عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.
(5) مسعود محمد علي البكاي مصدر سابق.

وبعد صلاة العصر من ذلك اليوم انتقل برفاقه إلى حي القرضة، وعندما زغردت النساء في الجديد عند خروجهم حاول الشيخ عبد الرحمن البركولي منعهن من ذلك، فقال له الشيخ عبد القادر اتركهن فإنهن سوف يبكين غداً كثيراً، وقد ترك في الزاوية القادرية بالجديد عند متاعهم بعض رفاقه الذين تمنعهم ظروفهم عن المشاركة في القتال وهم:

1. أده علي أبو صلاح.

2. محمد المحمودي.

3. الشيخ عبد الرحمن العجيلي[1].

لعدم استطاعتهم القتال بسبب كبر سنهم كما ترك ابن أخيه: أحمد علي مسعود، بسبب صغر سنه إذ لم يتجاوز عمره وقتئذٍ الثانية عشرة.

وأقام الشيخ عبد القادر برفاقه في الزاوية القادرية بحي القرضة التي بات فيها تلك الليلة، وفي الصباح طلب من: خليل الشاعر، وكان شيخاً على حي القرضة، أن يطلب لهم إذناً من الحاكم الفرنسي (كوناي) لزيارة ضريح الولي: عبد الله المغربي، الذي يقع في سفح الجبل الذي تقع فوقه القلعة.

فذهب خليل الشاعر إلى (كوناي) وطلب منه عن طريق سكرتيره ومترجمه محمد الفاخري[2]، أن يأذن لهذه الجماعة الصوفية في زيارة أولياء قاهرة، وإقامة الحضرة

---

(1) الشيخ العجيلي شخصية مجهولة ظهر في قريتي بو قدقود الشاطيء والفجيج بوادي الحياة منذ أواخر الثلاثينيات وكان ينام في المقابر، اشتهر بينهم بالصلاح والتقوى ولا يعرف السكان في القريتين عنه شيئاً حتى اسمه، وكل ما يعرفونه عنه إن صح أنه من بلدة العجيلات غرب مدينة الزاوية التي ينسبونه إليها.

(2) الطيب علي عبد القادر مركز الجهاد الشريط رقم 10/ 48.

عندها في تلك الليلة، فأذن له[1] بعد تردد خوفاً من القلاقل والاضطرابات حسب زعمه.

وهذه الحضرة لم تكن مقصودة لذاتها، وإنما المقصود جعلها وسيلة للاقتراب من القلعة والمبيت بجانبها، ومما يدل على ذلك أنها أقيمت مساء يوم الأربعاء على خلاف المعتاد، وهو إقامتها إما مساء يوم الأحد، وإما مساء يوم الخميس، ربما هذا هو الذي جعل الحاكم الفرنسي (كوناي) يدور في فكره الشك في نية هذه الجماعة في إقامة الحضرة في هذه الليلة، عندما سأل خليل الشاعر قائلا: بالك يعملوا لنا مشاكل[2].

سمع الناس في أحياء سبها كلها بأمر الحضرة التي سيقيمها الشيخ عبد القادر بن مسعود عند ضريح عبد الله المغربي بقاهرة، فجاءوا إليها فرادى وجماعات بقصد الزيارة والتبرك.

وعند الانتهاء من الحضرة رجع الكثير منهم إلى بيوتهم، وبقي من أراد الله تعالى له الاشتراك في هذه المعركة والاستشهاد في سبيل الله.

وفي مساء يوم الاربعاء السابع عشر من شعبان انتقل المجاهدون من القرضة إلى قاهرة، وأقاموا عند ضريح عبد الله المغربي، وبعد العشاء جلسوا للذكر بالقصائد الصوفية ملحنة ومصحوبة بالموسيقى المتعارف عليها وهي الضرب على البندير، فيما يعرف عندهم (بالحضرة) التي شاهدها عدد كبير من سكان سبها، بلغ عددهم أكثر من أربعين رجلاً، غير أن بعضهم قد رجع إلى بيته بعد انتهاء الحضرة، وبعضهم بقي في المكان إلى الفجر وشارك في المعركة.

يقول أحد الرواة[3]: كنا نعمل في سبها في ذلك الوقت وسمعنا أن الشيخ عبد

---

(1) رواية الطيب علي عبد القادر.

(2) المصدر السابق.

(3) الحاج أحمد علي نشنش من مواليد 1922 م وتوفي سنة 2002 بعد مقابلته بثلاثة أيام، من=

القادر سوف يقيم في تلك الليلة (الحضرة) عند قبر سيدي عبد الله بقاهرة فخرجت أنا وقريباي: محمد أحمد نشنش وهو من مواليد 1922 م وكان متزوجاً ولم ينجب أبناء بعد، وابن عمي سعد أحمد جار الله من مواليد 1918 م وهو متزوج وله أبناء.

فذهبنا من حي المهدية لمشاهدة الحضرة والتبرك بها، وفي منتصف الطريق تقريباً رأيت كأن لهباً من النار ينطلق من الأرض إلى السماء، وكنا لا نعلم بأمر الهجوم على القلعة.

فقلت لهما: هل رأيتما ما رأيت؟ فقالا: لم نر شيئاً.

فقلت لهما: إنني رأيت كذا وكذا، وهذا دليل على أن الإذن لم يحصل لي في هذه الزيارة والمشاركة في الحضرة، بينما حصل لكما الإذن في ذلك، فرجعت من منتصف الطريق، وواصلا السير، وشاركا في الحضرة واشتركا في المعركة واستشهدا معاً فيها.

ويقول راوٍ ثانٍ[1]: كان: عبيد محمد المبروك، وخير مفتاح بركة شكورة، وسالم عبد الله صليليخ، وسعد محمد الزائدي، وعلي محمد الصركوك، ومحمد صالح أبو قرعة، يعملون في سبها في ذلك الوقت، والتحقوا بالشيخ عبد القادر عند ضريح سيدي عبد الله لمشاهدة الحضرة، وعند انتهائها رجع منهم اثنان هما: علي محمد الصركوك، ومحمد صالح أبو قرعة، وبقي معه الآخرون، الذين اشتركوا في المعركة، فاستشهد منهم: عبيد محمد المبروك، وخير مفتاح بركة، وسالم عبد الله صليليخ ولم يستشهد سعد محمد الزائدي.

ويقول راوٍ ثالث[2]: كان ابن عمي: علي أحمد امحمد بن عروس البوسيفي،

---

= مقابلة الباحث.

(1) الحاج علي امحمد أبو عجيلة من مواليد الزهراء بالشاطيء سنة 1934م مقابلة مع الباحث.

(2) الحاج علي أبو القاسم امحمد بن عروس من مواليد قصر العرايسية بالشاطيء 1922 م =

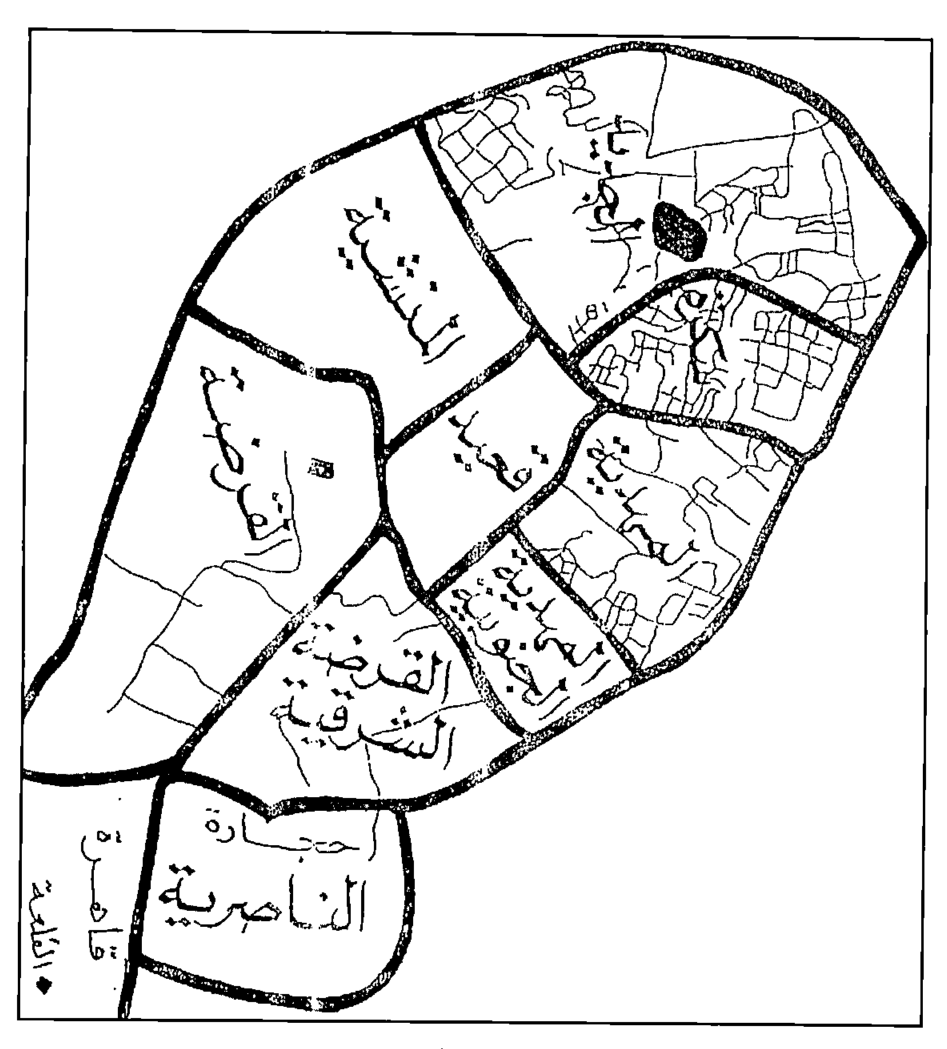
يعمل في ذلك الوقت في سبها، وهو من مواليد 1922 م تقريبا، ولم يتزوج بعد، وعندما سمع بأمر الحضرة التي يقيمها عبد القادر بن مسعود التحق به عند ضريح سيدي عبد الله، واشترك معه في المعركة واستشهد فيها.

ويقول راو رابع[1]: كان قدير (عبد القادر) محمد الأزهري، من قطة الشاطيء، كان شاباً في مقتبل العمر، يعمل في سبها، في ذلك الوقت، التقى بالشيخ عبد القادر في الحضرة عند سيدي عبد الله فاشترك معه في الجهاد واستشهد معه، وبسبب اسمه ظن الفرنسيون وأتباعهم أن قديري من قبيلة القديرات بالجبل الغربي ولهذا لم يأتوا إلى قطة ولم يحققوا مع أهلها، فأنجاهم الله تعالى من ذلك العذاب كما قال والده.

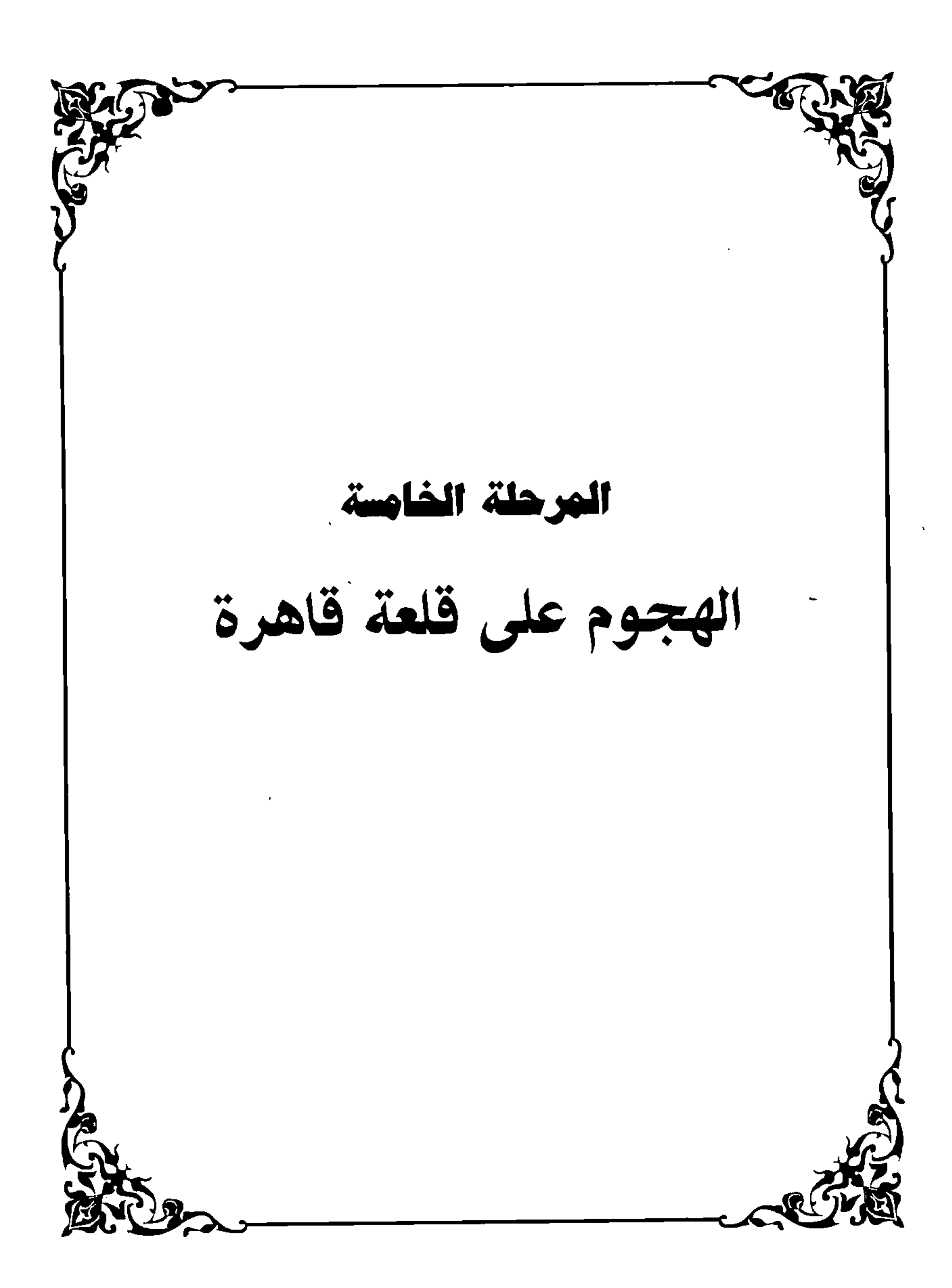
ومن خلال ما سبق يمكننا أن نلاحظ أن هؤلاء المجاهدين كانوا من الشباب، وأن معظمهم في العقد الثالث من العمر، بعضهم لم يتزوج مثل: قدير محمد الأزهري، وبعضهم حديث عهد بالزواج ولم ينجب أطفالاً، مثل: محمد مسعود زايد من مواليد 1920 م وكذلك الفرجاني بن سالم من مواليد 1925 م، وسالم عبد الله صليليخ، وبعض هؤلاء المجاهدين قد ترك زوجته وطفلا أو طفلين صغيرين مثل: علي التونسي وعبيد محمد المبروك، وخير مفتاح بركة شكورة وبهذه الخطوة من التفكير والإعداد للانتفاضة، والتي وصل فيها الشيخ عبد القادر بن مسعود ورفاقه إلى المبيت تحت قلعة قاهرة، لم يبق أمامه إلا تنفيذ الهجوم على هذه القلعة الحصينة، وهو ما سنتناوله في المرحلة الخامسة من مراحل هذه الانتفاضة في الصفحات التالية.

---

(1) الحاج عبد السلام البغدادي مواليد قطة الشاطيء مقابلة شخصية مع الباحث.




مخطط مدينة سبها



## المرحلة الخامسة

# الهجوم على قلعة قاهرة

بعد تناول وجبة العشاء، عند ضريح عبد الله المغربي، أقام الشيخ عبد القادر بن مسعود حلقة للذكر ونوبة للحضرة، حضرها عدد كبير من الرجال، سواء من رفاقه الذين جاءوا معه من الشاطي ووادي الحياة، أو الذين التحقوا به من أحياء سبها، أطلق أثناءها الشيخ عبد القادر عدداً من العيارات النارية من بندقيته على مبنى البريد المجاور للقلعة، والمسمى بريد تونس، غير أن الفرنسيين لم ينتبهوا للأمر، ولم يتبينوا حقيقة ما حدث، واستمرت هذه الحضرة أسفل القلعة إلى ساعات متأخرة من الليل، بقصد إحداث الأرق والسهر للحراس والجنود الفرنسيين.

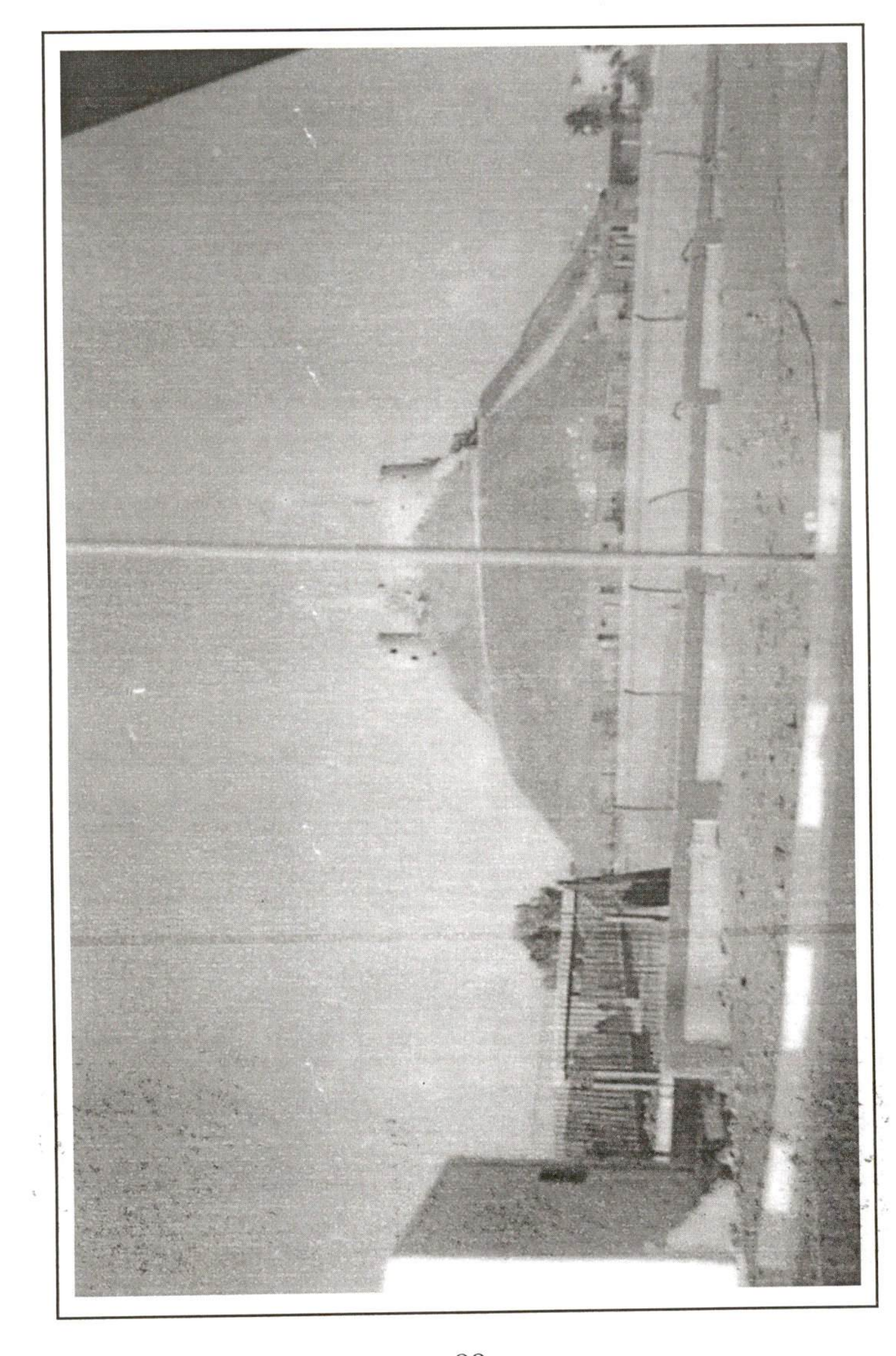
وعند بزوغ فجر يوم الخميس الثامن عشر من شعبان سنة 1368 هـ الموافق 1949/6/16 م، وبعد أن صلّى الشيخ برفاقه صلاة الصبح، وقرأ الوظائف والأحزاب والأوراد الصوفية التي تعوّد قراءتها بعد صلاة الصبح من كل يوم، توجّه هو ورفاقه نحو القلعة، وصعدوا إلى الجبل الذي تقع فوقه، فقال له أحد هؤلاء الرفاق، وهو عبد القادر بن محفوظ: «كيف ندخل عليهم بدون سلاح فقال له الشيخ عبد القادر: كبّروا فقط، فإن الله ينصركم بسلاح الإيمان»[1].

فاتجه الشيخ عبد القادر ورفاقه المجاهدون إلى الباب الرئيسي للقلعة وهم:

1. صالح بن علي أبو صلاح.
2. البكاي بن عثمان البكاي.
3. الفرجاني بن سالم البكوش.
4. عبد السلام بن محمد أحمد.

---

(1) عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.



5. حبيب بن محمد أحمد.
6. عمار بن عبد السلام البكوش.
7. الأمين بن عبد السلام البكوش.
8. سالم عبد الله صليليخ.
9. سعد أحمد جار الله.
10. ابراهيم محمد عريدة
11. علي محمد عبد العزيز التونسي.
12. بشيرمسعود الحطماني.
13. قدير محمد الأزهري.
14. عبيد محمد المبروك.
15. خير مفتاح بركة شكورة.
16. عبد الرزاق محمد هويدي.
17. محمد مسعود زايد.
18. أحمد محمد نشنش.
19. أحمد علي امحمد بن عروس.
20. الصويعي الطيب.
21. مسعود محمد علي البكاي.

وتخلف عن التوجه معهم:

1. **عبد القادر محفوظ علي: الذي ادعى أن سبب تخلفه المرض الذي حلّ به، مع أنه**

قام معهم للصلاة وتوضأ، وأدى معهم صلاة الصبح، وقال: خطر في بالي قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1]. فهرب إلى حي القرضة واختبأ في شجرة أثل قرب بئر ماء يقع شرق القرضة، ولم يعرف مكانه إلا بعد أن أخبرت النسوة ـ اللائي جئن لورود الماء من البئر ـ بوجوده في ذلك المكان.

2. سعد محمد الزائدي: هرب إلى حي المهدية حيث محل سكناه، ولو حاولنا أن نلتمس لهذا المجاهد عذراً فإننا نقول: إن هذا المجاهد لا علم له بهذه الانتفاضة، والهجوم على القلعة قبل ذلك اليوم، وأنه لم يحضر معهم اليمين الذي أقسموا عليه، وبالتالي فإنه لا يعلم عددهم، ولا عتادهم، وعندما علم بذلك ورأى قلة عددهم، وسلاحهم رأى أن هجومهم هذا يؤدي إلى الموت ولا يمكن أن يأتي بالانتصار وفق المقاييس العادية.

عند وصول المجاهدين إلى الباب الرئيسي وجدوا الحارس أمامهم فقتله الشيخ عبد القادر بالسيف، وأخذوا سلاحه، ثم دخلوا هذه القلعة الحصينة في حركة فدائية جريئة، واقتحام جسور، يدل على إيمان صادق، وشجاعة منقطعة النظير، حيث قاموا بقتل الحراس بالسيوف، والاستيلاء على أسلحتهم، وكان الشيخ عبد القادر قد أمر رفاقه بعدم إطلاق النار حتى يتم الاستيلاء على مخزن الأسلحة، مستفيدين بما فعله المهاجمون لهذه القلعة من المجاهدين أيام الاحتلال الإيطالي سنة 1914.

وفي عملية الاقتحام هذه استشهد الشيخ عبد القادر ابن مسعود؛ غير أن الروايات قد اختلفت في الطريقة التي استشهد بها، ففي رواية: أن الشيخ عبد القادر قد استشهد عندما دخلوا إلى مخزن الأسلحة، حيث انطرح على الأرض، ووضع يده على بطنه، وهو يتأوه من الألم حتى فارق الحياة.

وفي رواية أخرى: أنه استشهد، لأنه تعرض لوابل من الرصاص أصابته منها

(1) سورة البقرة، الآية: 195.

ست رصاصات، فأدخله المجاهدون إلى دار، غير أن الحزن واليأس على فقده لم يسيطر على نفوسهم المؤمنة.

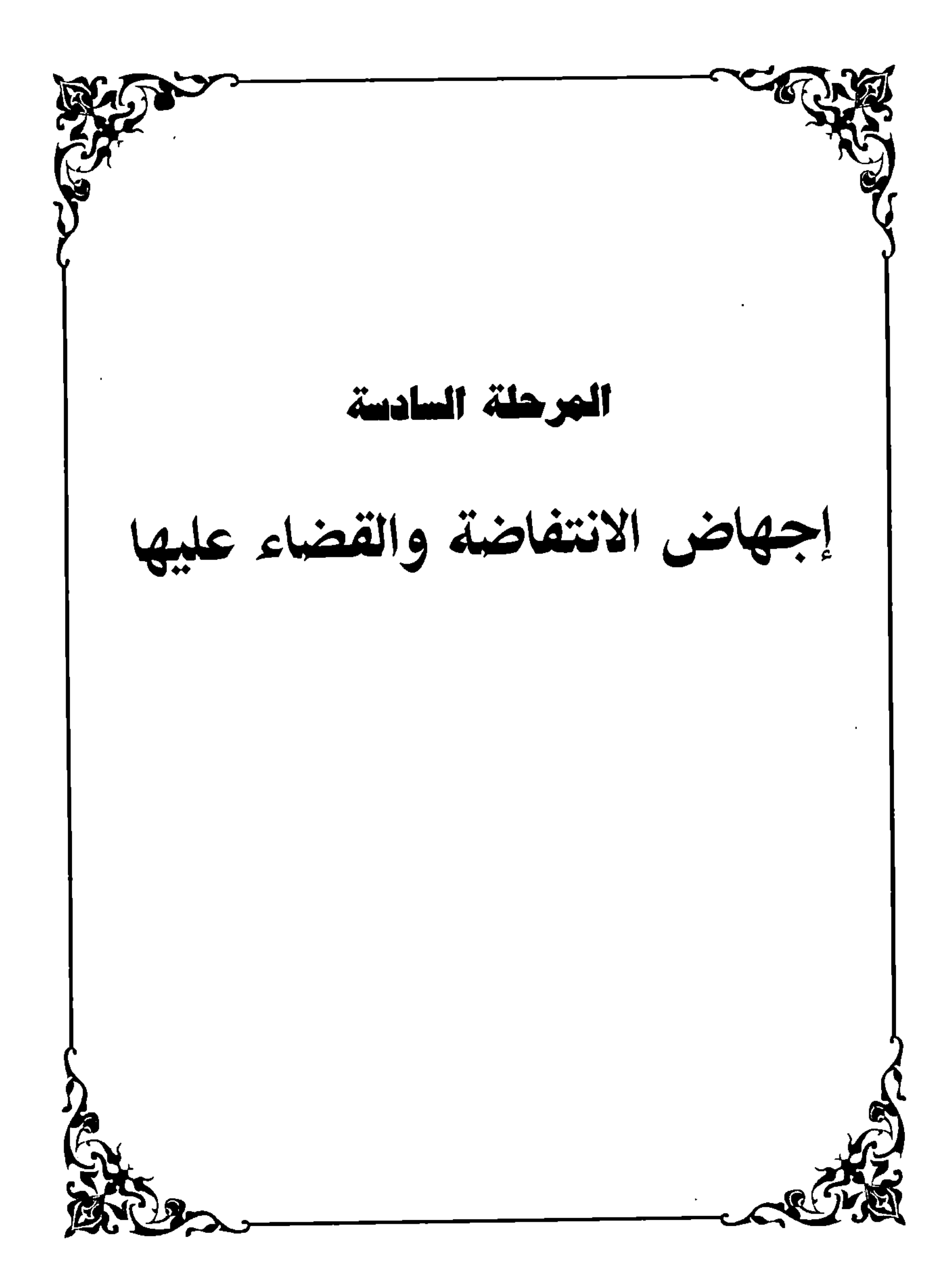
وكلا الروايتين تفيد أن الشيخ عبد القادر قد استشهد في بداية المعركة، عند اقتحام القلعة، وقبل تمكن المجاهدين من الاستيلاء على الأسلحة، عندئذ تولى قيادة المعركة أبرز رفاقه المجاهد الفرجاني بن سالم الحطماني، الذي طلب من رفاقه المجاهدين الصعود إلى الطابق العلوي، بعد أن استولوا على الأسلحة اللازمة لكل واحد منهم من مخزن الاسلحة، كما تقتضي الخطة العسكرية الموضوعة سلفاً.

وبرغم أن المجاهدين قد وجدوا مجموعة من الفرنسيين يغطون في نوم عميق في ساحة القلعة، فإن نفوسهم الأبية، وأخلاقهم النبيلة وعقيدتهم الإسلامية السمحة، أبت قتلهم وهم نيام، بل تركوهم في نومهم، وصعدوا إلى الطابق العلوي، لتبدأ المعركة الأولى أمام غرفة الاتصالات (الراديو) التي استشهد على بابها اثنان من المجاهدين، وعندما تمكنوا من اقتحامها قطعوا جميع أسلاك الاتصال بالخارج، وأخذوا يكبرون ويهللون فوق القلعة، وكلما رأوا أحدالفرنسيين رموه بوابل من الرصاص من بنادقهم، فقتلوا من الفرنسيين نحو سبعة. فدب الهلع والرعب في نفوس الضباط قبل جنودهم، ولم تعد لديهم حيلة إلا الفرار، فاصبحوا يفرون من القلعة كالجرذان، يتساقطون من النوافذ، ثم يتدحرجون من أعلى القلعة إلى أسفلها، ونتيجة لذلك جرح عدد كبير منهم، بل إن قائد هذه القلعة (كوناي) نفسه قد خرج من نافذة داره بالدور الثاني وأخذ يتدحرج من قمة القلعة حتى وصل الأرض فترضرض جسمه وانكسرت بعض عظامه، وفرّ الجنود والضباط الفرنسيون إلى أحياء حجارة (الناصرية) والجديد، وهم يظنون أن القوات الإيطالية قد أعادت الكرة عليهم أو غيرها، وباغتتهم بهذا الهجوم المفاجيء، وذلك لأن هجوماً بهذا الضبط والاتقان في السوق والتعبئة لا يصدر إلا عن قوات عسكرية مدربة ومتمرسة على القتال.

وأنزل المجاهدون العلم الفرنسي ومزقوه، ورفعوا بدلاً منه العلم الذي اختاروه

لحركتهم، لونه أخضر ومكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وظلوا ينتظرون أن يلتحق بهم سكان مدينة سبها، فيتم توزيع السلاح عليهم من المخازن، ليتابعوا فلول القوات الفرنسية المهزومة في أحياء سبها إلى مراكزهم الصغيرة في مرزق وأوباري والشاطيء، وذلك كما حدث للقوات الإيطالية، عندما هاجم المجاهدون قلعة قاهرة سنة 1914 م واستولوا عليها فالتحم بهم سكان مدينة سبها، الذين استطاعوا القضاء على فلول القوات الإيطالية في سبها، ثم مهاجمة مراكزهم في باقي نواحي فزان، وبذلك استقلت فزان من الاحتلال الإيطالي مدة خمسة عشر عاما تقريبا، وكان من الممكن أن تستقل أيضاً فزان في هذه المرة عن الاحتلال نهائياً قبل مناطق ليبيا الأخرى بنحو ثلاث سنوات، وربما يكون لهذا الاستقلال عند حدوثه أثر في نظام الحكم السائد في ليبيا كلها بعد ذلك، وعدم وقوعها تحت الحكم الملكي الذي ترفضه فزان مطلقا.

غير أن هذا التقاعس والتخلف من سكان مدينة سبها قد كان سببا في القضاء على الانتفاضة وإنهائها، واستمرار الاحتلال الفرنسي لفزان سنوات مريرة أخرى، وهذا ما سنذكره في المرحلة السادسة من مراحل هذه الانتفاضة في الصفحات التالية:



## المرحلة السادسة

# إجهاض الانتفاضة والقضاء عليها

سمع الناس في أحياء سبها كلها بعد صلاة الصبح صوت اطلاق الرصاص مدوياً، يقول أحد الرواة[1]: «سمعنا بعد صلاة الصبح ونحن في الزاوية القادرية بالجديد صوت اطلاق النار في قلعة قاهرة» وإذا كان الناس في حي الجديد، وهو أبعد أحياء سبها عن قلعة قاهرة قد سمعوا ذلك، فإن الناس في باقي الأحياء ـ بلا شك ـ قد سمعوا بذلك أيضاً، غير أن الناس في مدينة سبها قد انقسموا فهم إما خائفون من بطش فرنسا وتعذيبها الذي رأوه وعاينوه خلال فترة احتلالها لفزان، وإما موالون لها، ومتواطئون معها، وموافقون على استمرار احتلالها لفزان، وإما غير مبالين بما يحدث فيها، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، لا في العير ولا في النفير كما يقال، وفريق رابع قلوبهم مع الحسين ـ كما يقال ـ وسيوفهم مع بني أمية، وفريق خامس وسادس وهكذا، اختلفت بهم الآراء والأهواء، فذهبت مع اختلافهم آمال هؤلاء المجاهدين في الهواء.

وبقي المجاهدون مسيطرين على القلعة عدة ساعات، والفرنسيون الذين هربوا إلى أحياء حجارة (الناصرية) والجديد حائرون، لا يعرفون ماذا يفعلون؛ لأنهم ظنوا أن دولة قوية قد هجمت عليهم من حيث لا يعلمون؛ لأن هذه السرعة التي تمت بها عملية اقتحام هذه القلعة الحصينة لا تكون إلا من قبل دولة قوية، وقوات مسلحة منظمة ومستعدة، حتى أخبرهم الناس في هذه الأحياء في الصباح: أن الذين هجموا عليهم واستولوا على قلعتهم هم مجموعة قليلة من المجاهدين، وأن هؤلاء المجاهدين هم الذين أقاموا (الحضرة) في الليلة الماضية عند ضريح عبد الله المغربي أسفل القلعة.

---

(1) أحمد مسعود علي مقابلة شخصية مع الباحث.

عندئذ جلس الضباط الفرنسيون يفكرون في وسيلة وخطة عسكرية يتخلصون بها من هذا المأزق الذي وضعهم فيه هؤلاء المجاهدون، الذين لا علم لهم بفنون الحرب وأساليبها وخططها، وقد علموا أن هؤلاء المجاهدين ينتظرون أن يلتحق بهم سكان مدينة سبها، لذلك فإن الخطة التي وضعها الضباط الفرنسيون لاستعادة القلعة كانت من هذا الباب، فوضعوا حيلة ماكرة تقتضي أن يتظاهر المجندون من الجزائرين الشعانبة والمجندون الليبيون بالغيرة والوطنية والحماس الديني، مدعين انضمامهم للمجاهدين، وأن يتوجهوا ناحية القلعة مهللين ومكبرين، رافعين بنادقهم فوق رؤوسهم وصح فيهم المثل العربي القديم: «من مأمنه يُؤتى الفطن».

وطبّق المجندون هذه الخطة كما وضعها لهم الضباط الفرنسيون، فظن المجاهدون لحسن نيتهم، ونبل مقصدهم أن هؤلاء العرب المسلمين قد انضموا إليهم، وجاءوا لنصرتهم، فركنوا إليهم واطمأنوا لموقفهم، وهم في ذلك الوقت في أمس الحاجة إلى النصرة والمساعدة، بل إن خطتهم ذاتها تقوم على ذلك، فليس بوسعهم بهذا العدد القليل، أن يخرجوا من القلعة للقضاء على الفرنسيين، وإنما مهمة ذلك موكلة إلى سكان سبها.

لذلك مكّن المجاهدون هؤلاء المجندين من دخول القلعة، التي ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، والاختلاط بالمجاهدين، والوصول إلى الأسلحة الرشاشة المثبتة على الأبراج، ومن غرفة الاتصالات، وبعد أن تمكن هؤلاء المجندون من ذلك كله، بدأوا يطلقون النار على المجاهدين من تلك الاسلحة، ورغم ذلك التمركز فإن هؤلاء المجندين لم يستطيعوا القضاء على المجاهدين بسهولة، يقول أحد الرواة[1]: "سمعت وأنا في حجرة التحقيق - في ذلك اليوم - المجندين العرب يقولون لبعضهم: لو كان ما عملنا حيلة قتلنا بها الحطماني الفرجاني كان قضى علينا كلنا نشهد الله أنه

(1) أحمد علي مسعود مصدر سابق

بنداق وشجاع لكن الله نصرنا عليه، وعن تلك الحيلة يقول أحد الرواة[1]: حدثني امحمد الصغير فقال كان الفرجاني آخر من قتل وذلك لأنه تحصن في غرفة قد أغلق عليه بابها الحديدي وأخذ يصوّب بندقيته من النافذة على من يراه في ساحة القلعة فجئنا إليه وطلبنا منه فتح الباب لنا حتى نساعده على قتل الفرنسيين فانطلت عليه الحيلة وصدّقنا وفتح لنا الباب فقتلناه.

قضى المجندون على المجاهدين كلهم، إلا ما كان من أمر المجاهد مسعود محمد علي البكاي، الذي جرح عدة جروح في يده ورأسه وفخده، فسقط مغشياً عليه، فظنوا أنه قد مات، كما مات الآخرون ـ حسب زعمهم ـ لأنهم لا يؤمنون بقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾[2].

وعند تجميع جثث الشهداء وجدوا أنه لا زال على قيد الحياة، فأرادوا قتله والقضاء عليه، غير أن قائدهم (كوناي) قد طلب منهم الإبقاء عليه حياً، لأخذ المعلومات منه بعد أن يعالج ويعي، فأخذ إلى المستشفى للعلاج، الذي بقي فيه إلى يوم الأحد، ثم نُقل إلى السجن[3]، أما رفاقه الآخرون، فقد استشهدوا جميعاً، الواحد بعد الآخر، يتسابقون إلى الجنة التي وعد الله تعالى بها الشهداء، وجعل مقامهم مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

فهؤلاء الشهداء هم:

| | | | |
|---|---|---|---|
| 1. | الشهيد عبد القادر بن مسعود | الفجيج | وادي الحياة |
| 2. | الشهيد عبد السلام محمد أحمد | = | = |
| 3. | الشهيد حبيب محد أحمد | = | = |

---

(1) رواية سالم السني على مواليد بوقدقود الشاطىء 1939 مقابلة شخصية مع الباحث.

(2) سورة البقرة، الآية: 154.

(3) مسعود محمد علي البكاي مصدر سابق.

| | | | |
|---|---|---|---|
| 4. | الشهيد عمار عبد السلام البكوش | = | = |
| 5. | الشهيد الأمين عبد السلام البكوش | = | = |
| 6. | الشهيد صالح بن علي أبو صلاح | = | = |
| 7. | الشهيد البكاي عثمان البكاي | تكركيبة | = |
| 8. | الشهيد عبد الرزاق محمد هويدي | توش | = |
| 9. | الشهيد الفرجاني سالم البكوش الحطماني | بوقدقود | الشاطيء |
| 10. | الشهيد ابراهيم محمد عريدة السعيدي الحطماني | = | = |
| 11. | الشهيد بشير مسعود الحطماني | = | = |
| 12. | الشهيد محمد مسعود زايد | = | = |
| 13. | الشهيد علي محمد عبد العزيز التونسي | = | = |
| 14. | الشهيد خير علي مفتاح شكورة | الزهراء | = |
| 15. | الشهيد عبيد محمد المبروك | = | = |
| 16. | الشهيد سالم عبد الله صليليخ | = | = |
| 17. | الشهيد سعد أحمد جار الله | القلة | = |
| 18. | الشهيد أحمد محمد نشنش السهيكي | = | = |
| 19. | الشهيد محمد أحمد محمد بن عروس البوسيفي | قصر العرايسية | = |
| 20. | الشهيد قدير (عبد القادر) محمد الأزهري | قطة | = |
| 21. | الشهيد الطيب الصويعي | برقن | = |

وإذا كانت المصادر الشفهية لم تذكر أسماء المجندين الجزائريين من الشعانبة، إما لكثرتهم، وإما لعدم معرفة الرواة بأسمائهم، وإما لعدم استغراب ذلك منهم، فهم قد جاؤوا مع القوات الفرنسية لهذا الغرض، فإن هؤلاء الرواة قد ذكروا أسماء المجندين الليبيين، وذلك لقلة عددهم، ولمعرفة هؤلاء الرواة لأسمائهم، ولاستغراب

ذلك منهم، فذكروا منهم[1]:

1. عبد النبي بن سلمة.

2. دياب عبد الغني من البوانيس.

3. امحمد الصغير.

4. صالح شدوق.

وقد طمست أسماء قبائلهم تقديراً واحتراما لهذه القبائل التي استشهد عدد كبير من أبنائها في معارك الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي البغيض.

وبعد أن تمكن الفرنسيون من الاستيلاء من جديد على قلعة قاهرة، بفعل تلك الخدمات التي قدمها لهم المجندون، وانتهت المعركة باستشهاد أكثر المجاهدين الذين اقتحموا القلعة، رجع الضباط والجنود الفرنسيون إليها في حالة أشبه بالجنون منها إلى فقد الأعصاب، حيث كانوا يتصرفون مع جثث الشهداء تصرفات يظهر فيها الحقد، فمثلوا بتلك الجثث شر تمثيل، وبصورة بشعة تقشعر منها أبدان البشر العاديين، وذلك بأن ربطوا أرجلهم بالحبال الحديدية، وأخذوا يجرونها على الأرض، يقول أحد الرواة[2]: ثم سحبوا الشهداء من الباب الشرقي إلى الباب الغربي بالتل ووضعوهم في سيارة رافعة كان يقودها (علي القطاوي). ويقول راو آخر[3]: «كان مصير الشهداء الجر والحذف في السيارة، وعرضوهم على الناس عراة، ثم حفروا لهم حفرة، ثم أحرقوا جثثهم بالنار»، «وذلك بأن صبوا على جثثهم مائتي لتر من وقود السيارات (البنزين) بعد أن جروا تلك الجثث من أرجلهم بالسيارات من أعلى القلعة إلى أسفل

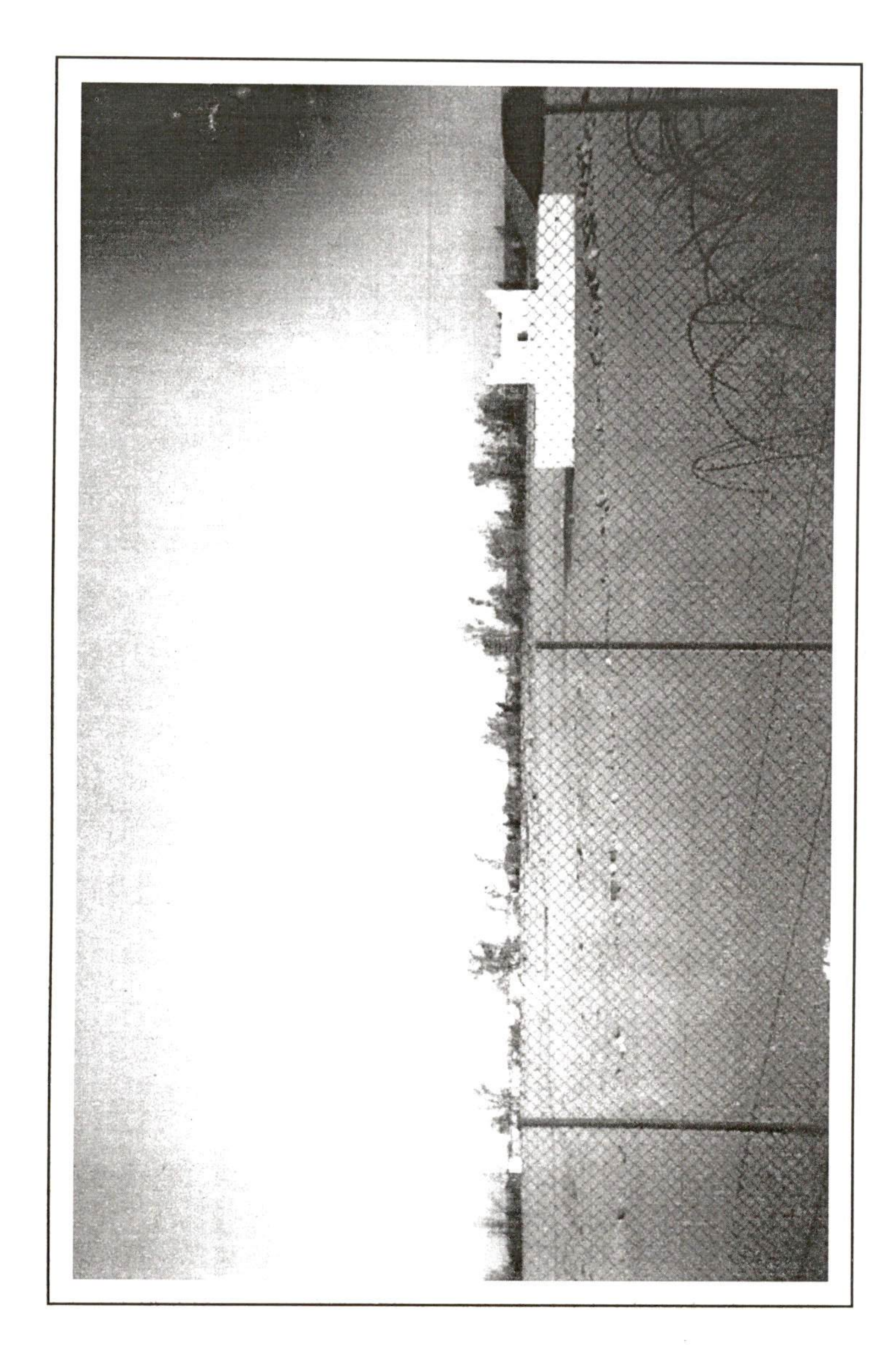
---

(1) الطيب علي عبد القادر مواليد براك 1930م، تم مقابلة مع الباحثين في مركز الجهاد بتاريخ 29/ 8/ 1979م ومسجلة على الشريط رقم 11/ 85.

(2) الطيب علي عبد القادر مصدر سابق.

(3) مسعود محمد علي البكاي مصدر سابق.

الجبل، ثم إلى مكان يبعد عن القلعة بنحو ثلاثة كيلو مترات غير آبهين بحرمة الجسد الآدمي الذي كرمه الله تعالى، ثم حملوهم إلى مكان آخر جنوب القلعة بنحو أربعة كيلو مترات، ووضعوا الجثث بعضها فوق بعض على شكل صليب ثم سكبوا عليهم البنزين وأضرموا في تلك الجثث الطاهرة النيران، ثم ردموا تلك الحفرة بالتراب في المكان المعروف حاليا بضريح الشهيد عبد القادربن مسعود، وقد سخر الله تعالى الحاج مصباح الأحيرش، فبنى على تلك الحفرة ضريحاً، وبعد أكثر من أربعة عقود قامت الدولة بتجديد بناء هذا الضريح على الشكل الواضح في الصورة المرفقة وهذا الضريح يزوره الناس إلى الآن ويتبركون به، ويروون قصصا عجيبة عن زياراتهم له، منها أنهم أحياناً في بعض الزيارات يرون عدداً كبيرا من الطيور فوق ذلك الضريح، ويذكرون أن عددها يفوق العشرين للإشارة إلى عدد الشهداء، ويرون أن وجود هذه الطيور أثناء الزيارة دليل على قبولها، وعدم وجودها دليل على عكس ذلك، وقد زرت هذا الضريح أكثر من مرة ولم أشاهد تلك الطيور التي يتحدثون عنها، فأرجو أن تكون أقوالهم تلك من باب الخرافات الشعبية وليس دليلا على عدم قبول زيارتي!.



ثم التفت الضباط الفرنسيون للإجراءات الاحتياطية التي غفلوا عنها في بادىء الأمر، فكانت خطوتهم الثانية في حقدهم الأعمى بأن حاصروا أحياء سبها كلها، وأغلقوها، فمنعوا الدخول إليها أو الخروج منها، وجمعوا كل من له علاقة بهؤلاء المجاهدين الشهداء أو يعرف بأمرهم، أو رافقهم أو ساعدهم، أو جاءهم عند ضريح عبد الله المغربي لمشاهدة الحضرة، وبدأت طائراتهم تبحث في جميع أنحاء سبها، من شمالها حتى رمال زلاف، ومن شرقها حتى البوانيس، ومن جنوبها حتى غدوة، ومن غربها حتى مشارف وادي الحياة، كل ذلك احتياطا منهم أن تكون هذه المجموعة عبارة عن طليعة لقوات كبيرة متمركزة في إحدى جهات سبها تتحين الفرصة المواتية للهجوم عليهم، يقول الراوي[1]: «بدأت الطائرة في البحث على مستوى منخفض يرافقهم محمد بحبح الشعنبي».

وأما الذين جمعوهم من أحياء سبها فإن عددهم كبير أذكر منهم:

1. أده بن علي.

2. محمد المحمودي.

3. الشيخ العجيلي.

4. أحمد علي مسعود.

5. سعد محمد الزايدي.

6. عبد القادر محفوظ علي.

فهؤلاء أول من أحضر إلى القلعة بسبب اشتراكهم الفعلي مع المجاهدين، يقول

---

(1) الطيب علي عبد القادر مصدر سابق.

أحدهم في روايته[1]: «لحق بي الفرنسيون في القرضة وسألوني عن اسمي، فقلت لهم: عبد القادر، فحسبوا أني الشيخ عبد القادر قائد المعركة، ثم أركبوني في السيارة، وكان عدد السيارات ثلاثاً، وعند وصولنا إلى القلعة أخرج أحد الفرنسيين مسدسه وأدخله في أذني، وقال لي: أنت مع الزوار؟ فقلت له: نعم، فقال أحد الفرنسيين: هذا الشيخ جئنا لكم به، ثم أخذ فرنسي آخر يطلق الرصاص من مسدسه، ثم قال ثالث: أدخلوه إلى السجن، فأخذوني إلى السجن، وكبّلوا يديّ ورجليّ بالسلاسل من يوم الأربعاء إلى يوم الأحد، وفي النصف الأخير من يوم الأحد أطلقوني من الحديد، وطلبوا مني الكلام فلم استطع الكلام من شدة العطش، فأشرت إليهم ان يعطوا لي الماء، قال الفرنسي لعثمان بن حسن وعبد الله بن سالم من القرضة: أعطوه الماء. فشربت كوباً من الماء، فقال لي عبد الله: لقد جلبتم علينا الشقاء وأنتم تستحقون الذبح، ثم أعطاني الفرنسي ثلاث تمرات ثم قال لهم: ارجعوه إلى الحبس. وكان عددنا سبعة: مسعود وأنا وسعد الزايدي وموسى الكبش من المقارحة، ويقول راوٍ ثان: أخذونا من الزاوية القادرية بالجديد إلى المكان الذي وضعوا فيه جثث الشهداء وطلبوا منا واحداً واحداً التعرف عليهم، فذكرت لهم أسماء من أعرفهم، وهم الذين جاءوا معنا من وادي الآجال إلى سبها ولم أذكر الآخرين لعدم معرفتي بهم. ثم أخذونا إلى القلعة ليحققوا معنا كلٌّ على انفراد فعرضوا عليّ ثلاث بنادق إيطالية مكسّرة وطلبوا مني التعرف عليها فأنكرتُ معرفتي بها، وسألوني عن الحركة وأسبابها وأهدافها فلم أجبهم بشيء، ونظراً لصغر سني إذ لم يتجاوز عمري آنذاك الثانية عشرة فقد صدّقوني، وعندما كنتُ في حجرة التحقيق سمعتُ بعض المجندين يتحدثون عن معركتهم مع المجاهدين. . .»[2].

وقد لاقى هؤلاء المعتقلون أقسى أنواع التعذيب من المجندين العرب، وعلى

---

(1) عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.

(2) رواية أحمد علي مسعود مقابلة شخصية مع الباحث.

الأخص المجند دياب الذي عذب مسعود محمد علي البكاي تعذيباً شديداً بالضرب المؤذي المهين على مرأى من الفرنسيين إرضاء لهم[1].

ثم جمعوا بعد ذلك كل من له علم بهذه الحركة قبل حدوثها، ولم يخبر القوات الفرنسية بذلك، فأحضروا من الجديد:

1. محمد عبد السلام المرابط.
2. محمد محمد الأحيرش.
3. مصباح محمد الأحيرش.
4. أبو بكر عثمان القاضي.

بسبب مرافقتهم لهؤلاء المجاهدين من وادي الحياة إلى سبها، وعدم الإخبار عن نيتهم في الهجوم على القلعة، كما أحضر من الجديد أيضاً:

1. الشيخ عبد الرحمن البركولي، بسبب اجتماعه بالشيخ عبد القادر، وعلمه بالحركة، وعدم الإبلاغ عنها مع أنه ـ كما سبق القول ـ قد عارض في هذا الهجوم.
2. الشيخ السالم عبد الرحمن الحضيري؛ لأنه شيخ الزاوية القادرية بالجديد، وهي التي آوت واستضافت هؤلاء المجاهدين، وبالتالي فهو على علم بالحركة ولم يخبر عنها، بل إنه قدم لهم مساعدة على ذلك.
3. محمد عبد السلام علي الحضيري، بسبب مساعدته للمجاهدين بإقامتهم في الزاوية الرفاعية.
4. العربي السالم، بسبب مصاحبته للمجاهدين وارتباطه بهم.
5. حسن مشمور بسبب صنعه سيفا وسكاكين للمجاهدين.

---

(1) أحمد علي مسعود مصدر سابق.

كما أحضر من حي القرضة: الشيخ خليل الشاعر بسبب أخذه الإذن للمجاهدين في إقامة الحضرة عند ضريح عبد الله المغربي، والحاج أحمودة الطاهر باعتباره مدير القرضة في ذلك الوقت.

كما أحضر من الأحياء الأخرى كل من جاء في تلك الليلة لمشاهدة الحضرة، ومنهم على سبيل المثال:

1. علي محمد الصركوك.

2. محمد صالح أبو قرعة.

وبعد أن جمعهم الفرنسيون نكلوا بهم تنكيلا شديداً وسلطوا عليهم المجندين معهم، فقاموا بسجنهم وتعذيبهم، وقبل التحقيق معهم كانوا يربطون أيديهم وأرجلهم بأسلاك من الحديد، وقد أراني أحد هؤلاء المعذبين وهو محمد ناجم الغول آثار الحديد باقية إلى الآن في معصميه وقال: "إن الذي قيدنا بالحديد هو المجند ذياب" ثم يضربونهم ضرباً مبرحاً، وكانوا يصوبون نحوهم البنادق لإرهابهم، ويتركونهم في الرمضاء الحارة لعدة ساعات بقصد انتزاع أكبر قدر من المعلومات منهم عن هذه الحركة.

ثم تأتي الخطوة الثالثة من حقد الفرنسيين الأسود على كل من تربطه علاقة أو صلة بهؤلاء المجاهدين الشهداء من أهلهم فاتجهوا في فرقتين: إحداهما إلى الشاطيء والأخرى إلى وادي الحياة، وصبوا جام غضبهم وحقدهم على هذه القرى وأهلها.

ففي الشاطيء يقول الراوي[1]: بعد الهجوم على قاهرة بأيام سمع الناس في بوقدقود نبأ استشهاد الشيخ عبد القادر ورفاقه الذين كان عدد كبير منهم من القرية والقرى المجاورة لها، فحزنوا حزناً شديداً. وكانوا يتوقعون قدوم الفرنسيين إليهم في

(1) علي نصر البكوش مقابلة شخصية مع الباحث.

كل لحظة، ويضيف هذا الراوي: وفي صباح أحد الأيام بينما الشيخ الصالحين بن تامر - مقرىء القرآن بالقرية وإمامها بعد الشيخ عبد القادر - جالساً مع طلابه في الزاوية قرب المسجد يقرئهم القرآن الكريم، طوّقت سيارات الفرنسيين مسجد القرية، وعندما رآهم الشيخ الصالحين، وكان أيضا من وادي الآجال، أمر طلابه بالانصراف والخروج في جماعة ملتفة حوله، حتى يتخفى بهم عن أعين الفرنسيين، ففعلوا ما أمرهم به حتى أدخلوه إلى أقرب بيت من المسجد.

ثم تأتي ثلاث طائرات عسكرية فرنسية سوداء - كما يقول الرواة - تحلق فوق قرية بوقدقود، وتتفقد الجبال، وما من كوخ من أكواخ القرية إلا ظن أهله أنها لامسته، تلك الأكواخ المبنية بالطين، والمسقوفة بجريد النخل، والأطفال ينظرون إليها ويتتبعونها بأبصارهم فرحين مبتهجين، لأنها المرة الأولى التي يرون فيها الطائرة، بينما أخذ الرجال جميعاً إلى المركز العسكري في برقن للتحقيق معهم، والجنود الفرنسيون ومن معهم من المجندين الجزائريين من الشعانبة يعيثون في القرية فساداً، لا يتركون شاة ولا زرعاً إلا أخذوه، ويقتحمون كل بيت، يبحثون ويفتشون عن السلاح والرجال، وإذا صادفهم وجود مال أخذوه من فضة للنساء أو نقود في صناديق الرجال، ويمشطون المزارع نخلة نخلة، والجبال والأودية بحثا عن الرجال، والناس صابرون محتسبون وهم الذين دفعوا أولادهم فداء للوطن قبل أن يدفعوا أموالهم.

تقول الراوية[1]: وقف الروامة (الفرنسيون) أمام بيتنا وكانت أمي خارج البيت، ولذلك تسلقت الجدار الخلفي حتى صعدت إلى السطح ونزلت علينا من درج الغرفة العلوية، ثم ناداها الأمين محمد ارحومه، وكأنه يعلم بدخولها قائلاً: خالتي سالمة. هؤلاء الفرنسيون يريدون تفتيش البيت، افتحي الباب، ولا تخافي فأنا معهم ، ففتحت أمي لهم الباب، ووقفنا - نحن النساء - بجانب حائط السقيفة، أنا وأمي وابنة عمي

(1) الراوية والدتي اشميخ ضو عطية مواليد أبو قدقود الشاطىء 1928م.

مبروكة محمد عطيه، والتي كانت أكثر شجاعة منا حيث أخفت بندقية والدي تحت ملابسها، ووقفت بجانب الحائط بينما وقفنا أنا وأمي، بينها وبين الفرنسيس حتى لا يروا البندقية، وأما الجنود فقد دخلوا إلى الدار والمخزن يفتشون عن السلاح، فلم يتركوا صرة بها صوف أو وبر أو جرة أو غيرها إلا أدخلوا أيديهم فيها، ومن نوادر ما يذكر في ذلك أن الجندي الفرنسي انحنى على الهري[1] ليفتشه وكانت به دجاجة مع فراخها فطارت في وجهه الدجاجة فخاف خوفا شديدا كاد قلبه أن ينفطر منه أو أن يطير من بين جوانحه، أما الرجال فقد أخذوا كلهم إلى مركز برقن للتحقيق معهم.

وبعد هذا التحقيق السريع أخذوا معهم إلى سبها كل من وجدوا له علاقة بهذه الانتفاضة، فأخذوا كلا من:

1. الحاج أحمد قريش الحطماني.
2. الحاج ضو عطيه الحطماني.
3. الأمين ضو عطيه الحطماني.
4. الحاج الهمالي بن نصر الحطماني.
5. الحاج الأزهري بن علي الحطماني.
6. الحاج ابراهيم بن علي الحطماني.
7. محمد ناجم الغول الحطماني.

فوضع الفرنسيون هؤلاء جميعا مقيدين في سيارة واحدة، ووضعوا معهم جنودا فرنسيين من قوات الردع والقمع والتدخل السريع الفيلق الإجنبي (لاليجو) يضايقونهم بحراب بنادقهم، رغم كبر سن بعضهم ونجاوزه سن السبعين.

---

(1) الهري حجرة صغيرة تقتطع داخل المخزن بارتفاع متر واحد وهي غير مسقوفة تخزن بها الأشياء الزائدة.

ثم رجعوا بعد مدة من الزمن لاستكمال التحقيق، يقول الراوي[1]: حققوا معي ـ باعتباره شيخ القرية في ذلك الوقت ـ وثلاثة من كبار السن في القرية هم:

1. مسعود زايد القنطراري والد الشهيد محمد مسعود زايد.
2. ارتيمة حُبة السعيدي الحطماني ابن عم الشهيد ابراهيم محمد عريدة.
3. الحاج صالح عطيه الحطماني ابن عم الشهيد الفرجاني بن سالم.

فسألوهم سؤالا واحداً: ماذا كان يقول عبد القادر ابن مسعود؟

فقال الأول: أنا اسكن في مزرعتي خارج البلدة ولا علم لي بما كان يقول.

وقال الثاني: كان يقول تسقط فرنسا وهذا علمها مزقناه.

وقال الثالث: كان يقول: جادوا أسيادي. جادوا أسيادي ولا نعرف من هم أسياده، ولا بماذا جادوا عليه.

أما في وادي الآجال (وادي الحياة) فإن التعذيب كان أكثر، والتنكيل كان أشد يقول الراوي[2]:

بعد أسبوع من الهجوم على القلعة جاءت إلينا السيارات الفرنسية، وفيها الحاكم العسكري الفرنسي (كوناي) الذي مرّ على كل قرى الوادي من أوباري إلى توش والفجيج وتكركيبة، يجمع الأشخاص الذين لهم علاقة بهذا الهجوم أو لهم علم به.

ومن صنوف الأذى والإرهاب الذي مارسه الفرنسيون على هذه القرى، أنهم وضعوا مدافع وبنادق رشاشة على الجبال المطلة على قرى الفجيج وتكركيبة وتوش، وهي القرى التي ينتمي إليها الشهداء، واستمروا في إطلاق النار تجاه الناس في هذه

---

(1) الحاج الهمالي ضو عطيه مواليد بوقدقود الشاطيء 1918 م مقابلة شخصية مع الباحث.
(2) أبو صلاح بن علي أبو صلاح (1322ـ1403 هـ) مركز جهاد الليبيين شريط رقم 11/85.

القرى، فخرج الناس كلهم من بيوتهم وفرّوا جنوباً إلى الرمال[1]، في تلك الشمس المحرقة، وذلك في الثاني من شهر رمضان المعظم، ولم يراعوا حرمة هذا الشهر، ولا حال الناس في صيامه، حتى وصل الناس إلى بحيرة مندرة، وأشرفوا على الموت[2]، مما جعل المدير: محمد شلقم يتدخل ويتوسط بين الأهالي والقوات الفرنسية، على أن يرجع الأهالي إلى بيوتهم، ويوقف إطلاق النار فكان أول من اكتوى بنارهم، فقد ربطوه على فوهة المدفع أمام أقارب المجاهدين للمساءلة والتحقيق، وكان ذلك بالضرب والتعذيب بسبب مساندته للمجاهدين بالأموال سراً قال (كوناي) لمحمد شلقم: إنك ستعدم خلال ساعات، ومن بعد كان يأتيه جندي يقول له: الآن بدأ العد التنازلي، ستعدم بعد أربع ساعات, بعد ثلاث، بعد ساعتين، بعد ساعة، ثم قدّم له الجندي سيجارة، وكان صائماً وسأله هل تريد أن تدخن؟ فرد عليه: أريد أن أموت وأنا صائم. وعندما لم يجدوا دليلاً مادياً ملموساً على ذلك أطلق.

ولم يقف الفرنسيون عند حد حقدهم وانتقامهم من أهالي القرى التي ينتمي إليها هؤلاء الشهداء، فصبوا جام غضبهم على المواطنين العزل دون تمييز، من اعتقال وعزل وتعذيب وحصار في عمل عشوائي طائش دلّ على فقدان التوازن وانعدام السيطرة على النفس، بسبب الصدمة والذهول فأطلقوا النار على البيوت وأشجار النخيل والجبال، وجمعوا الناس في كل قرية من هذه القرى لتقرأ عليهم أسماء الشهداء، ويطلب من كل من تربطه علاقة بأحدهم الخروج إلى ناحية، ليهانوا ويوبخوا ويطلق الرصاص فوق رؤوسهم وبين أرجلهم، ويضربوا بالسياط دون ذنب اقترفوه، إلا أن هذا بزعمهم يرضي غرور فرنسا، لترد لها هيبتها التي تمرغت في الوحل، ويرفع علمها الذي أسقطه المجاهدون وداسوه ومزقوه.

---

(1) أبو صلاح بن علي أبو صلاح مصدر سابق.

(2) عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.

وفتحوا ملفات التحقيق حتى مع أرامل الشهداء، وفرضوا على سكان هذه القرى نفقه الجند وعلف إبلهم، فلقى الناس من ذلك عناء شديداً، فقراً مدقعاً زيادة على ما هم فيه من فقر وعناء، حتى فقد الناس كل ما يملكون من مواشي وحبوب وتمر ومزروعات.

وبلغ بهم الأمر إلى طرد اسرة الشهيد صالح بن علي من منزلها ليتخذوا منه مقراً لإقامة الجند، الذين يحاصرون قرية الفجيج ويراقبون سكانها، وجمعوا من قرى وادي الحياة كل من له علاقة بهذه الانتفاضة، أوعنده علم بها، وأخذوهم إلى سبها، وهم:

1. أبو صلاح بن علي أبو صلاح شقيق الشهيد صالح علي أبو صلاح.
2. عثمان البكاي والد الشهيد البكاي عثمان البكاي.
3. محمد علي البكاي والد المجاهد مسعود محمد علي البكاي.
4. النور محمد الطاهر بسبب إعطائه جملا للمجاهدين من بنت بية إلى الأبيض.
5. محمد العربي النديو.
6. العربي الحاج السنوسي.

ومما يروى من طرائف ذلك أن الفرنسيين جاءوا إلى شيخ قرية الأبيض يسألون عن الذي استأجر منه المجاهدون الجمال؛ فأخذهم الشيخ إلى مزرعة العجيلي بريني بن ميلاد، فوجده يغسل طاقيته من ساقية الماء، وعندما أخبره الشيخ بذلك، جاء معه إليهم، عاري الرأس حافي القدمين، وقبل أن يصل إليهم، قال الشيخ للفرنسيين، هذا العجيلي بريني الذي تريدونه، فلما رأوه بتلك الهيئة، رجعوا على أعقابهم من حيث أتوا، ولم يكلموه[1].

جمع الفرنسيون كل هؤلاء، من سبها والشاطيء ووادي الحياة في سجن القلعة ليتفنن المجندون في تعذيبهم، فيصوبون نحوهم البنادق تخويفا وإرهاباً، ويلقون بهم في الرمضاء الحارة ظهيرة صيف فزان الحار، ويكلفونهم بالأعمال الشاقة، من حمل

---

(1) رواية: محمد أبو صلاح بن علي أبو صلاح مواليد الفجيج وادي الحياة. مقابلة شخصية مع الباحث.

الماء على ظهورهم إلى أعلى القلعة، رغم كبر سن بعضهم، فمنهم من تجاوز السبعين، هذا بالإضافة إلى الضرب والتوبيخ والإهانات المتكررة، يقول الراوي[1]: «عندما كنا في السجن في قلعة قاهرة جاءت لجنة ربما من منظمة حقوق الإنسان، يرتدون ملابس القضاة، فتم اخفاؤنا وتوقيفنا في دواليب (صناديق) حديدية وأقفلت علينا حتى لا يرانا هؤلاء القضاة، وهددنا الفرنسيون بالموت إن تفوه أحدنا بكلمة».

وبعد هذا التعذيب عقدت لهم محاكمة حكمت على كل من علم بهذه الانتفاضة ولم يخبر عنها السلطات الفرنسية بالإقامة الجبرية في الزاوية القادرية بالقرضة مدة ستة أشهر، يقول الراوي[2]: «بقيت بها مدة ستة أشهر من 2 رمضان سنة 1368 هـ إلى شهر ربيع الأول 1369 هـ» بينما «حكمت هذه المحكمة على كل من ساهم في الانتفاضة ولم يدخل القلعة مقاتلا بالسجن سنة ونصفاً»[3]. يقول الراوي[4]: «أنا قضيت حولا وستة أشهر تحت القهر والهم ثم جاءوا بي إلى بلدي وبدأوا يراقبونني وطلبوا مني عدم مغادرتها».

وحكمت المحكمة على من دخل القلعة مقاتلاً بالسجن ثلاث سنوات، كما حكمت على الحاج أحمد قريش بالنفي الأبدي إلى مرزق، ومن أسباب هذا الحكم المغلظ عليه أن الفرنسيين وجدوا في ملابس الشهيد عبد القادر ابن مسعود رسالة من الحاج أحمد قريش تحتوي على ملاحظات عن خطة الهجوم، وتوضح تنظيم الدولة القادمة وترتيب الوظائف فيها"[5].

وحكمت المحكمة على الشيخ العجيلي بالرجوع إلى إقليم طرابلس باعتباره من

---

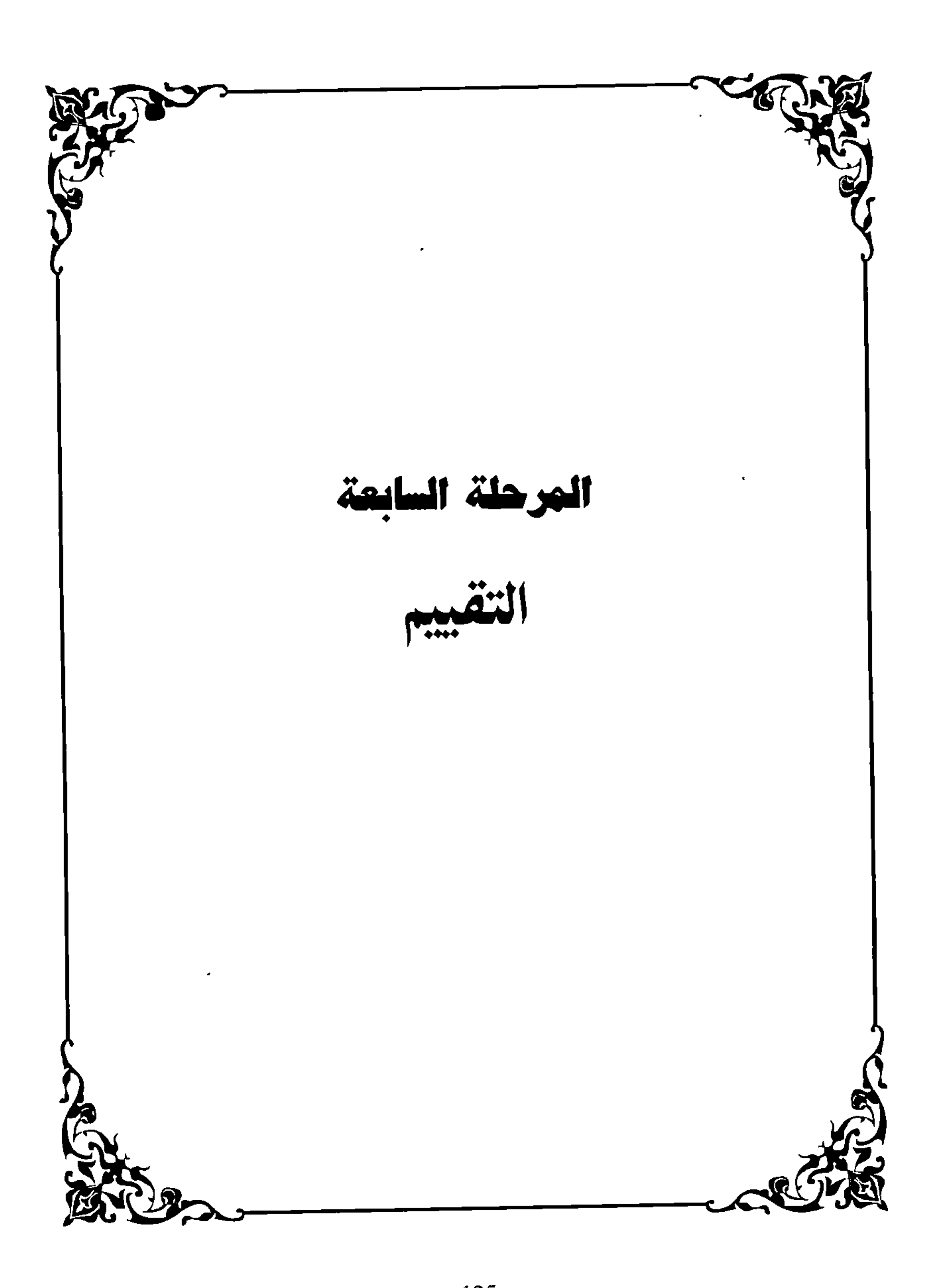
(1) محمد ناجم الغول الحطماني مقابلة شخصية مع الباحث.
(2) أبو صلاح بن علي أبو صلاح مصدر سابق
(3) مسعود محمد علي البكاي مصدر سابق.
(4) عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.
(5) أنظر رواية عبد القادر محفوظ علي مصدر سابق.

رعايا الحكومة البريطانية.

ومن الغريب في هذه المحاكمة أنها خالفت ما هو متعارف عليه في جميع أنحاء العالم وفي كل العصور بالإنفاق على السجين، إلا في هذه المحاكمة العجيبة الغريبة حيث كان السجناء فيها ينفقون على أنفسهم، يقول الراوي: «دفعت عشرة آلاف فرنك في المصروف».

وقد كان هذا التعذيب بقصد إجبارهم على الاعتراف والإدلاء بالمعلومات، وكانت هذه الأحكام بقصد إطفاء لهيب هذه الانتفاضة الشعبية، وذلك من شدة ذهولهم من هذه المفاجئة التي لم يكن الفرنسيون يتوقعونها، أو يحسبون لها حساباً، لأنهم كانوا قبل ذلك يدّعون أن سكان فزان يريدون حكم فرنسا لهم، فجاءت هذه الانتفاضة مكذبة لهم، ومخيبة لآمالهم في بسط سلطان فرنسا على الصحراء الكبرى كلها، وفاضحة لحقيقة وجودهم فوق هذه الأرض، ومؤكدة أنها جزء عزيز لا يمكن أن ينسلخ عن وطنه.





# المرحلة السابعة

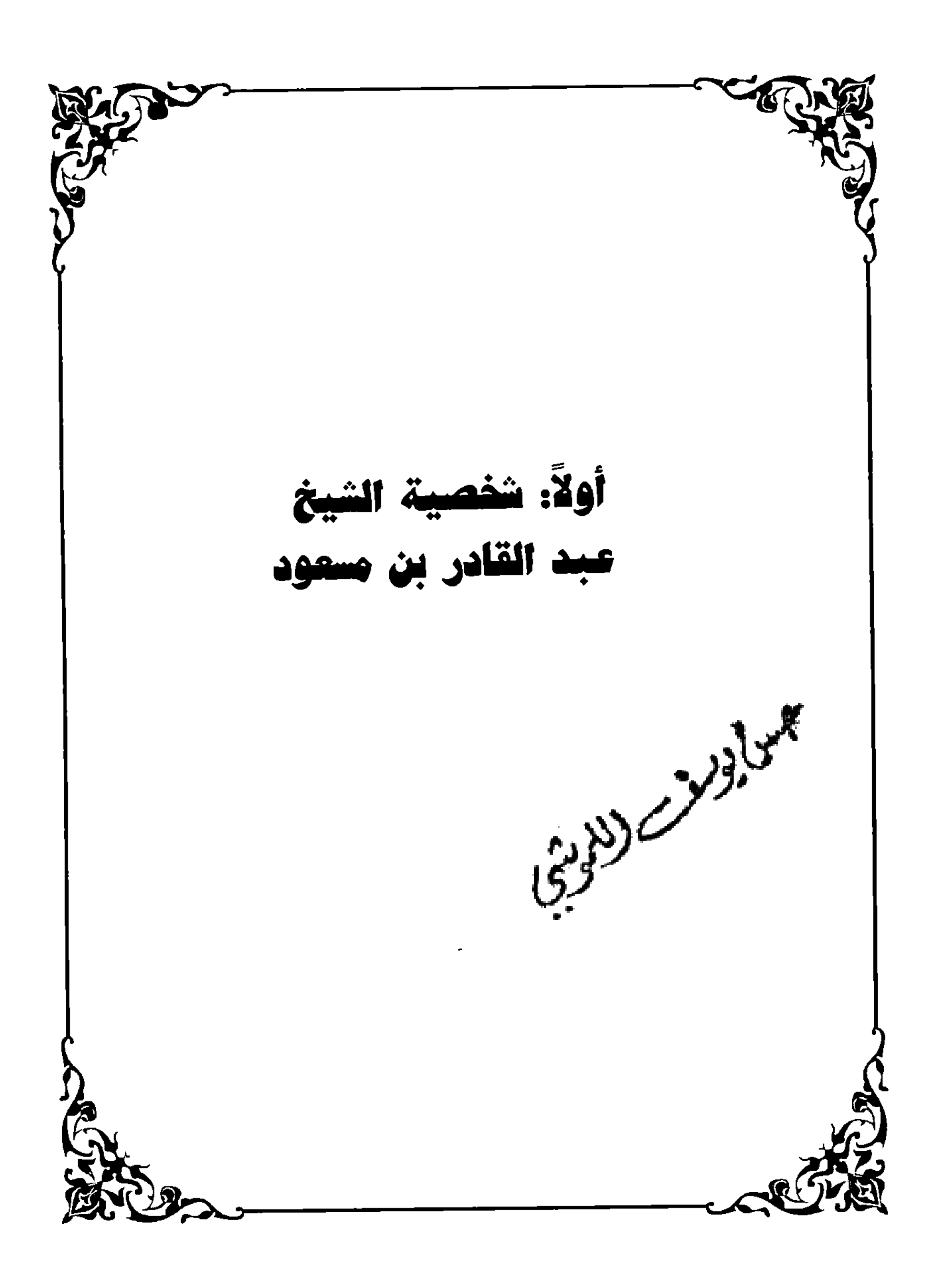
# التقييم

بعد هذا التطواف الذي استعرضنا فيه مراحل هذه الانتفاضة المباركة التي شملت معظم مناطق فزان (الشاطيء ووادي الحياة وسبها) ضد الاحتلال الفرنسي البغيض لهذه البقعة من أرض ليبيا، وقادها المجاهد الشهيد عبد القادر بن مسعود الفجيجي، هذه المراحل التي بدأت بالحديث عن أسرة الشيخ عبد القادر ومولده ونشأته، وتعليمه، واشتغاله بالإمامة والتدريس، ثم قيامه بالهجوم على قلعة قاهرة الحصينة مع عشرين من المجاهدين الذين أيدوا فكره الجهادي، وضحوا بأرواحهم فداء لوطنهم، وانتهاء هذه الانتفاضة باستشهادهم جميعاً، بعد أن استولوا على القلعة أكثر من أربع ساعات، اندحر خلالها الفرنسيون، وفروا إلى أحياء سبها مذعورين.

لا بد لنا أن نقف بعد هذا وقفة تأمل وتقييم نراجع فيها أحداث هذه الانتفاضة، نستخلص منها بعض النتائج والعبر، والتي قد يتفق معنا القارىء الكريم عليها أو يختلف فندرس في هذه المرحلة التي قسمناها إلى أربع فقرات هي:

تقييم شخصية الشيخ عبد القادر بن مسعود، وتقييم المعركة، ثم آثاره المادية التي تركها، ثم رثاء هؤلاء الشهداء، وقد أطلقنا على هذه المرحلة:

مرحلة التقييم وإن كانت بعض فقراتها لا علاقة لها بذلك.



# أولاً: شخصية الشيخ
# عبد القادر بن مسعود

إن من يتتبع مراحل هذه الانتفاضة وأحداثها، لا بد أن يتبادر إلى ذهنه الكثير من الأسئلة منها: هل كان عبد القادر ابن مسعود مجنوناً ـ أم مجذوباً درويشاً ـ أم قائداً عسكرياً ماهراً ـ لأن أحداث هذه الانتفاضة فيها شيء من كل ذلك.

ولنبدأ ـ بعون الله تعالى وتوفيقه ـ في الإجابة عن السؤال الأول فنقول: لقد تكرر وصف الشيخ عبد القادر ابن مسعود بالجنون في ثلاثة مواضع، أولها: هجومه على مركز القوات الإيطالية في أوباري وحيداً أعزل بدون سلاح، وعندما سجنه ضابط ذلك المركز، لم يجد أهل مدينة أوباري لإخراجه من السجن، وهو إمام مسجدهم، ومقرىء القرآن الكريم لأولادهم، إلا حيلة اتهامه بالجنون، فحبكوا الخطة، من خلال ما يعلمونه عنه، من كرهه وبغضه، بل تحريمه أخذ النقود الإيطالية، ونجحت هذه الخطة في أخراجه من السجن.

وأما الحادثة الثانية التي وصف فيها الشيخ عبد القادر ابن مسعود بالجنون فهي إقدامه أمام مقر مديرية برقن على مرأى ومسمع الكثير من الناس على تمزيق علم فرنسا، ورفع علمه على سارية المديرية، فقال أحد الحاضرين: هذا مجنون، ظناً منه أن هذا الفعل لا يفعله إلا المجانين، أما العقلاء فإنهم لا يفعلون ذلك، خوفاً من العواقب، ولكن الشيخ عبد القادر عندما سمع قوله ردّ عليه غاضباً بأنه ليس مجنوناً، ولكنه يرى المستقبل، الذي لا يراه ذلك المتكلم، بأن فرنسا سوف ترحل عن فزان، وأن علم الوطن سوف يرفرف فوق أرضها، فهو إذن أكثر عقلا من ذلك المتكلم الذي ربما يعجز عن رؤية الحاضر بوضوح.

وأما الحادثة الثالثة التي وصف فيها الشيخ عبد القادر بالجنون فهي ما أشيع عنه من ذلك، بعد انتهاء هذه الانتفاضة والقضاء عليها، وسبب ذلك ما عاناه أهل فزان عموماً، وأهل القرى التي تحرك فيها على وجه الخصوص من صنوف الأذى، وألوان الظلم من الفرنسيين ومجنديهم، فقالوا ذلك عنه مكرهين، تحت التعذيب، مع أنهم

يعلمون أنه كان في كمال العقل وصواب الرأي واتزان الفكر، أخذاً بقول الفقهاء: ليس على مستكره يمين.

أما السؤال الثاني وهو: هل كان درويشاً مجذوباً؟ فإن أحداث هذه الانتفاضة ومراحلها، تؤكد أن بدايتها في بوقدقود الشاطيء كانت، كما يعبر عنه أهل التصوف (بالجدبة)، ولكنه لم يكن درويشاً، والتي تعني نقص العقل، وفقد السيطرة على الأمور، وإنما كان ولياً صالحاً من أصحاب الحال والمقال، ظهرت على يديه الكثير من الكرامات، وإن كان قد اتخذ الحضرة وسيلة لتجميع الناس، وشرح فكره الجهادي فيها، فإن هؤلاء الرواة يذكرون أنه لا يردد في الحضرة إلا قصيدة واحدة هي قصيدة البردة الشهيرة للإمام البصيري، ثم يعقبها بهتافاته الحماسية المعروفة، وأنه لا يسقط مغشياً عليه في الحضرة، بل يكون أثناء الحضرة وبعدها رجلاً عادياً.

ولم يرو أحد منهم أنه خالف حكماً شرعياً، أو أمر بخلافه، بل كان دائم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في كل أقواله وأحواله، ناصحاً للناس واعظاً لهم بما ينفعهم في حياتهم الأخرة، تاركاً الحديث عن الحياة الدنيا لأهلها.

ولكن هل كان عبد القادر بن مسعود قائداً عسكرياً ماهراً؟ لم يذكر الرواة أنه كان على علم بأمور الحرب والقتال، أو شارك في معركة من معارك الجهاد، رغم أنه كان في عمر الرجال عندما عاد الطليان إلى فزان في المرة الثانية، بل إنه عندما ركب الخيل في بوقدقود الشاطيء اعتبر الحاضرون ذلك كرامة من كراماته الكثيرة، لأنه لم يسبق له أن ركبها من قبل، وإذا كان الأمر كذلك إذن من وضع تلك الخطة المحكمة التي تم بها الاستيلاء على قلعة قاهرة سبها الحصينة؟

إذا كان كما يقال في المثل العربي القديم ـ آثار الأقدام تدل على المسير، فإنني أقول: إن غالب الظن أن الذي وضع هذه الخطة المحكمة التي دارت بها المعركة وأعدت بها هو: الحاج أحمد قريش البكوش الحطماني (1889 ـ 1989)، وهو من أذكياء البدو ودهاتهم، بل كان من أشهر رجالات فزان في ذلك الوقت.

يتضح ذلك من الرسالة التي أرسلت إلى محمد عثمان الصيد، وكان صديقه الشخصي، وبينهما زيارات كثيرة متبادلة، واللجوء إلى الشيخ عبد الرحمن البركولي، الذي تربطه به علاقة وثيقة، من أجل مشاركة أهل الشاطيء الشرقي والجديد بسبها، والاستعانة بخليل الشاعر شيخ القرضة، في طلب الإذن لهم بالقرب من القلعة والتظاهر بالحضرة عند ضريح عبد الله المغربي، الواقع تحت الجبل الذي بُنيت عليه القلعة، وما تسببه من أرق وسهر للحراس والجنود الفرنسيين طوال الليل، وقتل الحارس بالسيف دون السلاح حتى لا يستيقظ الباقون، وهي طريقة اتبعها المجاهدون سنة 1914 م عند تحرير هذه القلعة من الإيطاليين.

كل ذلك يدل على أن واضع هذه الخطة هو الحاج أحمد قريش البدوي الذي عُرف عنه الذكاء والدهاء، ولهذا كان الحكم عليه في المحكمة الفرنسية التي عقدت بعد هذه المعركة شديداً وقاسياً، حيث حكمت عليه وحده بالنفي والإبعاد إلى مرزق مدى الحياة، ولم يرجع إلى الشاطيء إلا بعد رحيل الفرنسيين عن فزان.

غير أن هذه الخطة التي وضعها لم يتحقق بعض بنودها، حيث فشلت في مشاركة أهل الشاطيء الشرقي في هذه المعركة كما كانوا يأملون من مراسلة محمد عثمان الصيد، ولم يشارك فيها احد من أولاد الحضيري بالجديد كما كانوا يطمحون من اللجوء إلى الشيخ عبد الرحمن البركولي، ولم تشارك معهم جماهير الناس في سبها بعد سيطرتهم على القلعة كما كانوا يرغبون، وتركهم الجميع نهباً وصيداً للفرنسيين ومجنديهم يضعون لهم المؤامرات والخدع ويقتلونهم وهم يتفرجون ويتحسرون.



# ثانياً: تقييم المعركة

وصف أحد الرواة[1] الهجوم على قلعة قاهرة الحصينة بسبها بأنه عمل انتحاري فقال: "في مايو 1948 م كتب لي السيد عبد القادر بن مسعود رسالة يقول فيها: إن ضغوط الفرنسيين ضد السكان قد بلغت حداً لا يطاق" ثم قال: "بعد أن تلقيتُ هذه الرسالة التي وصلتني بواسطة شابين من قبيلة الحطمان كتبت له رداً طلبت منه فيه التأني إلى حين نتصل باخوتنا في الشمال حتى إذا حدثت مشاكل سارعوا إلى نجدتنا، أو على أقل تقدير تحدثوا عنا في الصحف التي تصدر في طرابلس وبنغازي، قصدتُ من هذا الرد إقناعه بكيفية غير مباشرة أن يعدل عن فكرته التي بدت لي فكرة انتحارية، ورغم أنه تسلم رسالتي فإن نية الهجوم الانتحاري على الفرنسيين طغت على تفكيره، وجمع حوله مجموعة من الشباب في وادي الآجال كانوا ينتمون إلى قبائل الحطمان والزوايد والقوايدة وغيرهم ومن هناك جاءوا إلى سبها، واجتمعوا بالشيخ البركولي فطلب منهم أن يعملوا بنصيحتي لهم لكن السيد ابن مسعود لم يتراجع"[2]. والغريب أن هذا الوصف يصدر من شخص يزعم أنه كان نائباً لرئيس جمعية سرية لمناهضة الاحتلال الفرنسي لفزان[3]، والتي تضم في عضويتها، كما يقول، أبرز شخصيات فزان في ذلك الوقت، منهم: الحاج أحمد قرييش، والشيخ محمد الأزهري ممثلين للجمعية في برقن، ومحمد النيهوم[4] وعبد الهادي ابن رمضان الزائدي ممثلين للجمعية بإدري وتمسان، والشيخ عمر بن علي بن أحمد والشيخ المبروك عريبي والشيخ المهدي بن عثمان ممثلين للجمعية في نزريك[5] وغيرهم، ويرأس هذه

---

(1) محمد عثمان الصيد في مذكراته ص 41.

(2) محطات من تاريخ ليبيا (مذكرات محمد عثمان الصيد) أعدها للنشر طلحة جبريل، تضفيف وإخراج ـ طوب ـ للاستثمار والخدمات ـ الرباط ـ ط1 ـ 1996 م ص 41.

(3) المصدر السابق ص 33.

(4) كذا ورد في الأصل (النيهوم) والصواب (الميهوب).

(5) المصدر السابق ص 32.

الجمعية الشيخ عبد الرحمن البركولي[1] وأن هذه الجمعية ـ كما يقول ـ قد قررت مع بداية عام 1948 م الانتقال من العمل السري إلى العمل العلني، بعد أن جاء الوقت المناسب خاصة عقب نزول السلطات الفرنسية بثقلها في ترغيب وترهيب السكان، وتبلور لدينا ـ كما يقول ـ اقتناع أن ثمن الحرية والانعتاق هو الدم، إذن لا بد من التضحية والخروج بعملنا إلى العلنية، فماذا يقصدون بالتضحية والدم وقد جاءتهم الفرصة السانحة لذلك من غيرهم، وماذا يريدون وقد جاءهم من يطلب مساعدتهم في الهجوم على الفرنسيين فرفضوا وطلبوا منه الرجوع عن فكرته، اللهم إلا إذا كانت أقوالهم لا علاقة لها بمعانيها.

ولكن مالنا ولأقواله، فربما خطرت هذه الفكرة في ذهن غيره، لذلك ينبغي علينا تعريف الانتحار والمنتحر حتى يتضح أن هؤلاء المجاهدين أبعد ما يكونون عن ذلك.

المنتحر إنسان قد يئس من الحياة، ووصل إلى قناعة أن الزمن في حياته قد توقف، وذلك لضعف في عقله، فرأى أن حياته لا قيمة لها ولا فائدة فيها، فقرر إنهاءها والتخلص منها، فهو إذن يقتل نفسه من أجل نفسه بسبب مرض في عقله، وفي حالة موته يكون ذلك الموت مدعاة للعار عند أقاربه، وهو إن بقي له شيء من العقل لعلم أن مصيره في الآخرة الخلود في النار.

أما الشهيد فهو إنسان قد وهب حياته، وقرر الموت من أجل أن يحيا أهله وأقاربه حياة حرة عزيزة، فهو يستشهد فداء لوطنه، وهو مؤمن إيماناً صادقا أنه ينفذ أمراً إلهياً، ولذلك فإن استشهاده يكون مدعاة للفخر عند أقاربه، والشهداء لا يتخلصون من حياتهم، بل يؤمنون بأن الشهادة استمرار لهذه الحياة استمراراً لا نهاية له

---

(1) المصدر السابق ص 33.

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون﴾[1].

ومن ذلك نخلص إلى أن هؤلاء المجاهدين المؤمنين وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر بن مسعود ممن يرى ان الجهاد في سبيل الله فرض عين على كل مسلم مثل الصلاة، وأن القيام به لا ينتظر حتى تتوفرَ ظروف النصر، وأسباب الفوز، وذلك إذا احتل العدو أرض الوطن، وهذا رأي قد قال به كثير من الفقهاء قديماً وحديثاً.

وعلى ذلك فإن هذه المعركة إن لم تكن انتفاضة شعبية لتحرير فزان من الاحتلال الفرنسي، قد وضعت لها الخطة المحكمة التي تكفل لها النجاح وطبقها أولئك الأبطال بكل شجاعة واقتدار، فهي على أقل تقدير عملية فدائية استشهادية مثل ما يحدث الآن من عمليات فدائية يقوم بها المجاهدون الفلسطينيون ضد الغزاة الصهاينة في فلسطين، والتي يفجر فيها هؤلاء المجاهدون أجسامهم الطاهرة لقتل الصهاينة الذين يحتلون بلادهم، وأفتى جميع الفقهاء المعاصرين بأن عملياتهم هذه عمليات فدائية استشهادية وليست عمليات انتحارية.

---

(1) سورة آل عمران 169.



# ثالثاً: آثار عبد القادر بن مسعود

لم يبق من الآثار المادية للشيخ عبد القادر بن مسعود شيء يذكر، لأن مكتبته التي تضم الكتب التي يقرأ منها، والرسائل التي كان يوجهها في الأغراض المختلفة، يبدو أنها أحرقت سواء في بوقدقود الشاطيء أو في قريته الفجيج بوادي الحياة، خوفاً من بطش الفرنسيين وتعذيبهم، ولم يبق من ذلك كله إلا رسالة كان قد وجهها إلى ابن اخته: البكاي عثمان البكاي، أثناء دراسته في قرية الزوية بالشاطيء سنة 1358 هـ ـ عند وجود الشيخ عبد القادر في قريته الفجيج بمناسبة وفاة أخيه محمد ابن مسعود، وهو بالتالي خال البكاي، ولذلك فإنه يخبره في هذه الرسالة بوفاته، ويقدم له التعازي.

ويبدو من خط هذه الرسالة وأسلوبها أنها كتبت على عجل، وأنها كتبت على ظهر ورقة قد كتبت عليها عبارات أخرى، منها ما يمكن قراءته الآن، ومنها ما لا يمكن قراءته، ومما يمكن قراءته: "ومن شعر سيدي عبد القادر الجيلاني:

إذا كنت في أمر وضقت بحمله وأصبحت في عسر وأمسيت في حرج

فصل على المختار من آل هاشم كثيرا فإن الله يأتيك بالفرج

وكذلك توجد عليها عبارة نصها: دعاء نبوي رواه مسلم في صحيحه وهو: اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر آمين آمين. أ هـ.[1].

كما يوجد عليها عبارة نصها: «يصل ليد ابننا البكاي بن عثمان ببلد الزوية».

وأما نص هذه الرسالة فهو: الحمد لله وحده. إنه إلى المحترم عوض ابننا

(1) الحديث خرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر.

البكاي ابن سيدي عثمان البكاي، السلام عليكم ورحمة الله مع البركة، دوام معلومك يا نعم الابن إن سألت عنا إننا بكمال العافية مالنا بالسؤال إلا عنكم وعن كافة أحوالكم سائلين، وأعلمك أن عوض والدك سيدي محمد بن الوالد سيدي مسعود توفي رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا الله وإياكم الصبر الجميل على فقده لأن كل نفس ذائقة الموت وكل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام معلومك يانعم الابن أوصيك كل الوصاية على الجد والاجتهاد في قراءة المتون والمطالعة ليلاً ونهاراً، وندعو الله أن يفتح علينا وعليك بالعلوم النافعة، ويجعلك الله من أمناء الوقت السعداء الذين أسعدهم الله في الدنيا والآخرة، معلومك أن تبلغ سلامنا إلى الأستاذ المحترم سيدي أحمد الصيد وأبنائه وأهل بلدة وبالأخص ابنه الفاضل التلميذ النجيب اخيك محمد بن عثمان ابن سيدي الشيخ أحمد الصيد كثيرا، ومسلم عليك عوض والدك سيدي علي بن مسعود ووالدك سيدي عثمان البكاي وأهل البلدتين مسلمون عليك ويدعو لك الجميع كلهم.

والسلام عليكم من أفقر العبيد إلى ربه

عبد القادر بن مسعود

1358 هـ

ومن نص سيدي عبد القادر الجيلاني

اذا كنت في امر وضقت بحاله
واصبحت في غسر واصبحت في حرج
وصل على المختار من آل هاشم
كثيرا فإن الله يأتيك بالفرج

دعاء نبوي رواه مسلم في صحيحه وهو

اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر آمين آمين اللهم

وانصح بالفكي العالمة الشيخ البشير المبروك بن ... و...
... الصيغة ... يا ابن ...

الحمد لله وحده

الله الى المحترم الفاضل عوض ابننا البكاي بن سيدي عثمان البكاي
السلام عليكم ورحمة الله مع البركة دوام معلومك يا نعم الابن ان سالت
عنا اننا بكمال العافيه مالنا بالسؤال الا عنكم وعن كافة اهولكم سائلين
و اعلمك ان عوض والدك سيدي محمد بن الوالد سيدي مسعود توفي
رحمه الله رحمة واسعة ورزقنا الله واياكم الصبر الجميل على فقده
لان كل نفس ذائقة الموت وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والاكرام ومعلومك يا نعم الابن انا اوصيك كل الوصايت
على الجد والاجتهاد في قرائة المتون والمطالعة ليلا ونهارا
وندعو الله ان يفتح علينا الله وعليك بالعلوم النافعة
ويجعلك الله من ابناء الوقت السعداء الذين اسعدهم الله في الدنيا
والاخرة ومعلومك ان تبلغ سلامنا الى الاستاذ المحترم سيدي
احمد الصيد وابناءه واهل بلدهم ويخص ابنه الفاضل التلميذ
النجيب الشيخ محمد [illegible] بن عثمان بن سيدي الشيخ احمد
الصيد كثير ومسلم عليك عوض والدك سيدي على بن مسعود
ووالدك سيدي عثمان البكاي واهل البلد تيس مسلمون عليك
وبدعوتك [illegible] الصالح والسلام ختم لكم من اصغر العبيد الى ربه
عبد القادر بن [illegible]





# رابعاً: رثاء الشيخ
# عبد القادر بن مسعود ورفاقه

للشاعر الشعبي محمد سويسي البكوش الحطماني[1]

| | |
|---|---|
| عينـــي علـــى الإمـــام والفـــرجـــانـــي | كمـا عيـن مـارة بحـرهـا جـوانـي[2] |
| كيـــف عيـــن القـــاضـــي وكيـــف | مـــزن متهـــالـــي علـــى الأراضـــي[3] |
| زاد أمـــــراضـــــض وعظمـــــي | يـاعكـس وقتـي يـا همـوم زمـانـي[4] |
| جـانـي خبـرهـم غيـر عـل للفـاظ | لا سـوق راسـم لا فـزع مـدانـي[5] |

---

(1) الشاعر محمد سويسي البكوش الملقب بالشيخ العجيلي نسبة إلى الشيخ العجيلي الذي سبق ذكره في أحداث هذه الانتفاضة، ولد في قرية بوقدقود الشاطيء سنة 1911 م، اشتهر بالصلاح والتقوى والفصاحة، وامتاز شعره بالحكمة والوعظ والإرشاد، كان أثناء أحداث هذه الانتفاضة في مدينة طبرق، وعندما وصله خبر استشهاد إمام قريته الشيخ عبد القادر بن مسعود، ومعه بعض اقارب الشاعر قال هذه القصيدة المتدفقة بالأسى والحزن على فقدهم من جهة، والحسرة على عدم حضور هذه المعركة والمشاركة فيها من جهة أخرى، عمل الشيخ العجيلي إماماً لمسجد قريته بوقدقود في آخر حياته مدة تزيد على عشر سنوات حتى توفي سنة 1991 م رحمه الله.

(2) يقول الشاعر إن عينه تذرف الدمع الغزير على وفاة إمام القرية عبد القادر بن مسعود ورفيقه الفرجاني ابن سالم البكوش ابن عم الشاعر، كأنها عين مارة التي يجري ماؤها أنهاراً، وعين مارة كما هو معلوم ـ تقع غربي مدينة درنة بنحو 25 كم، وهي من أهم عيون الجبل الأخضر، وتتكون عين مارة من خمس عيون أشهرها: عين شعيب، وعين المغارة، وعين الصفا، وأقوى هذه العيون عين الشايب، ويبلغ ارتفاع عين مارة عن سطح البحر أكثر من 420 متراً، ويقدر ما يخرج منها من الماء بنحو 140 لترا في الثانية (أنظر معجم البلدان الطاهر الزاوي مكتبة النور طرابلس ط1 سنة 1968. ص 237).

(3) أو كأن عين الشاعر في كثرة دموعها عين القاضي وهي عين ماء جارية تقع في مدينة براك عاصمة وادي الشاطيء، أو كأنها أمطار غزيرة تنهمر على الأرض فتجري بسببها الأودية أنهاراً.

(4) وبسبب موتهم قد زادت أمراضه وأحزانه، بسبب البعد عن الأهل والأقارب في هذه المحنة، وكأن عظامه هي التي تكسرت، ويرى من شدة الحزن أن موتهم نذير شؤم له في حياته، لأن أيامه سوف تنعكس عليه بالشر وأن الهموم سوف تزداد في حياته.

(5) قد جاءته أخبار استشهادهم وهو في مدينة طبرق عن طريق الأخبار الشفهية، ولم يحضر =

| | |
|---|---|
| لاســــوق تشعــــــل نــــــاره | تفضي على القلب الحزين غياره[1] |
| قــاسيــت منهــن فــي الضميــر مــرايــر | منهــن علــى طــول الــزمــان انعــانــي |
| لــو حضــرتــم فــي صبــح يــوم القــارة | كــان مــوش نــا لأول انكــون الثانــي[2] |
| كـــــان مـــــوش نـــــا أولهـــــم | نــا مــا نفــارقهــم ولا نعـــزلهـــم[3] |
| نـــاسٍ مشـــوا مـــا روحـــوا لهلهـــم | بيعــة رفــاقــه أمــرهــم ربــانــي[4] |
| شهيـديـت فـي دار البقـاء منـزلهـم | فيــه مــا يضـاهيهـم مقـام الـدانـي[5] |

---

= معهم المعركة ولم يحضر سوقها الرايحة التي تجلي القلوب الحزينة، ولم يكن قريباً منهم حتى يفزع لنصرتهم والقتال معهم.

(1) قاسى الشاعر من تلك الأخبار التي جاءته بخبر استشهادهم في قلبه عللا وأوجاعاً، بقي يعاني منها زمانا طويلا.

(2) يؤكد الشاعر أنه لو حضر في ذلك الصباح الذي قامت فيه الغارة على قلعة قاهرة، فإنه إما أن يكون الأول وإما أن يكون الثاني، والسبب في تحيره بين هذين الموقعين وجود ابن عمه الفرجاني بن سالم، الذي يعلم مقدار شجاعته وإقدامه، فإن أحدهما سيكون الأول، والآخر سوف يكون الثاني.

(3) وإذا لم يكن أولهم أو ثانيهم فإنه أبداً لن يفارقهم ولن يتركهم أو يتخلى عنهم بل سيكون معهم مجاهداً شهيداً.

(4) هؤلاء المجاهدون الشهداء الذين خرجوا من أهلهم ولم يرجعوا إليهم، قد تبايعوا على الاستشهاد في سبيل الله تعالى كما بايع الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فإن أمرهم أمر إلهي وليس من صنع البشر.

(5) هؤلاء المجاهدون شهداء في سبيل الله تعالى، لذلك فإن منزلهم ومقامهم في الجنة، تلك المنزلة التي لا تضاهيها منزلة، والمقام الذي لا يدانيه مقام.

# الخاتمة

وبعد فهذا ما وسعني الوصول إليه من الروايات الشفهية عن هذه الملحمة النضالية التي قدّم فيها هؤلاء الشباب أرواحهم فداء لوطنهم العزيز، لتحريره من ربقة الاحتلال الفرنسي البغيض، فضربوا بذلك أروع الأمثلة في التضحية والفداء، وكتبوا بدمائهم الطاهرة الزكية أنصع الصفحات من تاريخ جهاد هذا الشعب الأبي، الذي يرفض الذل والخضوع إلا لله تعالى.

وقد حاولت جاهدا صياغة أحداث هذه الانتفاضة بأسلوب يكفل لها الإخراج في عمل سينمائي توثيقي، يبقى ما بقي على الأرض إنسان يعشق الحرية، ويرفض الاحتلال، ونبراساً يضيء الطريق للأجيال القادمة لتحافظ على الحرية التي بذل من أجلها آباؤهم وأجدادهم أغلى ما يملكون في هذه الحياة.

لذلك أقترح:

1. إخراج أحداث هذه الانتفاضة في شريط سينمائي توثيقي يسجّل صفحة من جهاد الليبيين ضد الاحتلال الفرنسي، على غرار شريط (عمر المختار) الذي مثّل صفحة من جهاد الليبين ضد الاحتلال الإيطالي.

2. بناء مسجد على ضريح هؤلاء الشهداء إعمالاً لقوله تعالى: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ الكهف 21.

وفي الختام أدعو كل من لديه معلومات أو وثائق عن هذه الانتفاضة، غير مذكورة في هذا البحث أن يتفضل مشكوراً بتقديمها إلى الباحث أو إلى مركز جهاد الليبيين حتى يتسنى لنا وضعها في مكانها إن شاء الله تعالى في طبعات قادمة.

والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

# المصادر

## أولاً الكتب المطبوعة:


1. استقلال ليبيا سامي حكيم مكتبة الانجلو المصرية ط2 سنة 1970 م.
2. تاريخ فزان مصطفى خوجة. ت ـ حبيب وداعة الحسناوي منشورات مركز جهاد الليبين 1979 م.
3. الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي. ت ـ أحمد عبد العليم البردوني. ط2 دار الشام للتراث بيروت 1952 م.
4. جغرافية فزان جمال الدين الدناصوري. دار ليبيا للنشر بنغازي ليبيا د. ت.
5. صحيح البخاري. مطبعة دار الكتب العربي القاهرة مصر. د. ت.
6. صحيح مسلم. ت ـ محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. دار إحياء التراث العربي 1956م.
7. فزان ومراكزها الحضارية. أبو بكر عثمان القاضي. مركز شؤون الصحراء. دار المحيط العربي. بيروت لبنان. د. ت.
8. الفلسفة الصوفية في الإسلام. د. عبد القادر محمود. دار الفكر د.ت.
9. الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية. البابي الحلبي بمصر. د.ت.
10. محطات من تاريخ ليبيا (مذكرات محمد عثمان الصيد) أعدّها للنشر طلحة جبريل. تصفيف وإخراج ـ طوب ـ للاستثمار والخدمات ـ الرباط ـ ط1 ـ 1996 م.
11. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي أي وتسنك مطبعة بريل ـ ليدن ـ

.1955

12. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي مطابع الشعب د.ت.

13. مكاشفة القلوب للأمام الغزالي دار ثقافة القلم العربي القاهرة ـ ط1 ـ 1990.


## أولاً: روايات أخذها الباحث:


1. رواية: أحمد علي مسعود الفجيجي مواليد الفجيج وادي الحياة 1936 م.
2. رواية: أحمد علي نشنش السهيكي مواليد القلة الشاطيء 1922 م وتوفي رحمه الله سنة 2002 بعد المقابلة بثلاثة أيام.
3. رواية والدتي: اشميخ ضو عطيه مواليد أبو قدقود الشاطي 1928م.
4. رواية: عبد السلام البغدادي. مواليد قطة الشاطيء 1925 م.
5. رواية: علي امحمد أبو عجيلة الزايدي. مواليد الزهراء الشاطيء 1936 م.
6. رواية: علي امحمد محمد اكشاخي الحطماني مواليد بوقدقود الشاطيء 1938 م.
7. رواية: علي خليفة الغول الحطماني مواليد برقن الشاطيء 1922 م.
8. رواية: علي علي مادي الحطماني مواليد بوقدقود الشاطيء 1928 م.
9. رواية: علي نصر البكوش الحطماني مواليد أبو قدقود الشاطيء 1940 م.
10. رواية: علي أبو القاسم امحمد بن عروس البوسيفي مواليد قصر العرايسية الشاطيء 1922 م.
11. رواية الكيلاني مسعود مواليد الأصابعة بالجبل الغربي 1925 م وتوفي رحمه الله سنة 2002 م بعد المقابلة بنحو شهر.

12. رواية: محمد أبو صلاح علي أبو صلاح مواليد الفجيج وادي الحياة.

13. رواية: محمد ناجم الغول الحطماني مواليد برقن الشاطيء.

14. رواية: الهمالي ضو عطيه الحطماني. مواليد بوقدقود الشاطيء 1918 م.

15. رواية: محمد أبو صلاح بن علي أبو صلاح مواليد الفجيج وادي الحياة.

16. رواية عبودة عبد السلام مواليد بوقدقود الشاطيء 1915.

17. رواية سالم السني علي الحطماني مواليد بوقدقود الشاطي 1934.

## ثانياً: المجلات والمنشورات:

1. مجلة الشهيد مركز جهاد الليبيين العدد السادس أكتوبر 1985 م.

2. مذكرة أقارب الشهيد عبد لقادر بن مسعود إلى أمين المؤتمر الشعبي الأساسي قراقرة وادي الحياة.

## ثالثاً: الروايات الشفهية:

أ. الروايات المسجلة من قبل باحثي مركز جهاد الليبيين:

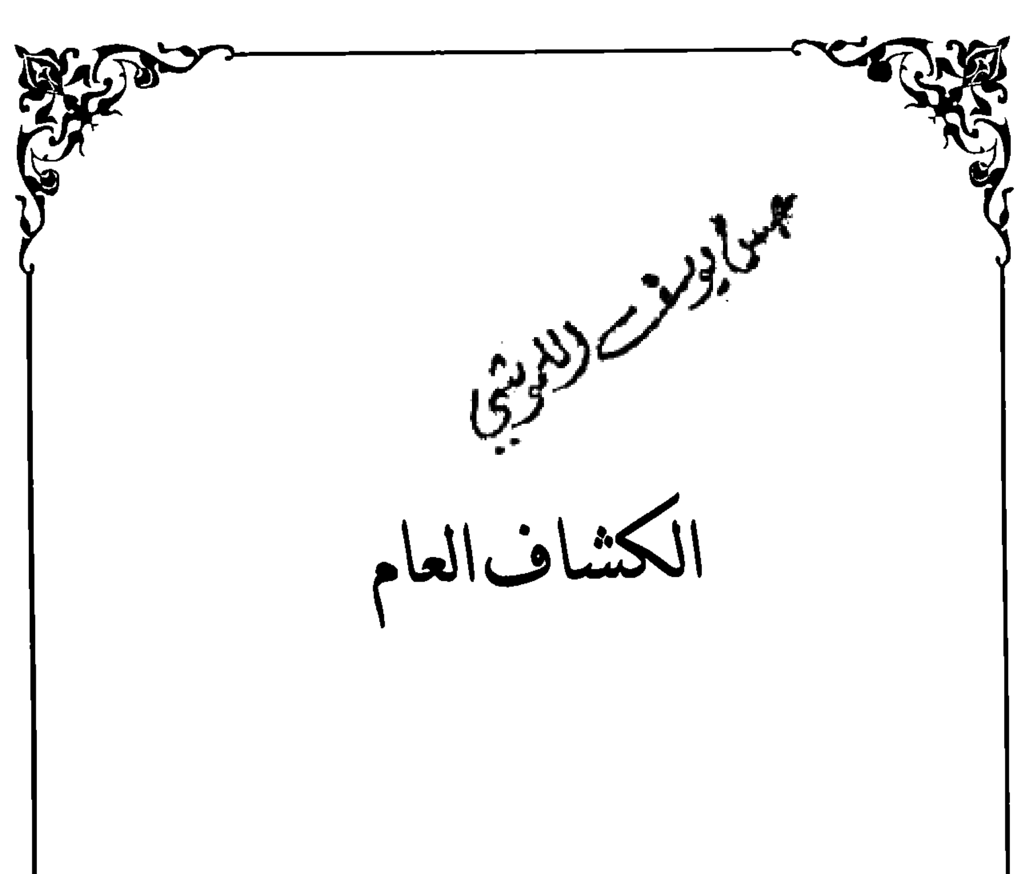
1. مقابلة مع: الطيب علي عبد القادر. مواليد براك الشاطيء 1936 م أجريت المقابلة بتاريخ 29/8/1979 م وسجلت على الشريط رقم 10/48.

2. مقابلة مع: أبو صلاح بن علي أبو صلاح. مواليد الفجيج وادي الحياة 1904 سنة أجريت المقابلة بتاريخ 27/8/1979 م وسجلت على الشريط رقم 11/85 وتوفي رحمه الله بتاريخ 29/10/1983 م.

3. مقابلة مع: عبد القادر محفوظ علي ، مواليد تكركيبة وادي الحياة 1904م أجريت

المقابلة بتاريخ 1979/8/12م وسجلت على لاشريط رقم 11/22.

4. مقابلة مع: مسعود محمد علي البكاي، مواليد تكركيبة وادي الحياة 1923م أجريت المقابلة بتاريخ 1979/8/12 م وسجلت على الشريط رقم 11/ 22.



# الكشاف العام

# فهرس الأعلام

## (أ)

* إنما اعتبرنا اللام جزءاً من الكلمة لأنها أصل في الأسماء المتأخرة.

## (ح)



## (خ)



## (د)



## (ذ)



## (ر)

## (ز)



## (س)



## (ص)

## (ض)



## (ط)



## (ع)

## (غ)



## (ف)



## (ق)

## (ك)



## (م)

## (هـ)



## (و)



## (ي)

# فهرس القبائل والجماعات والهيئات

## (أ)



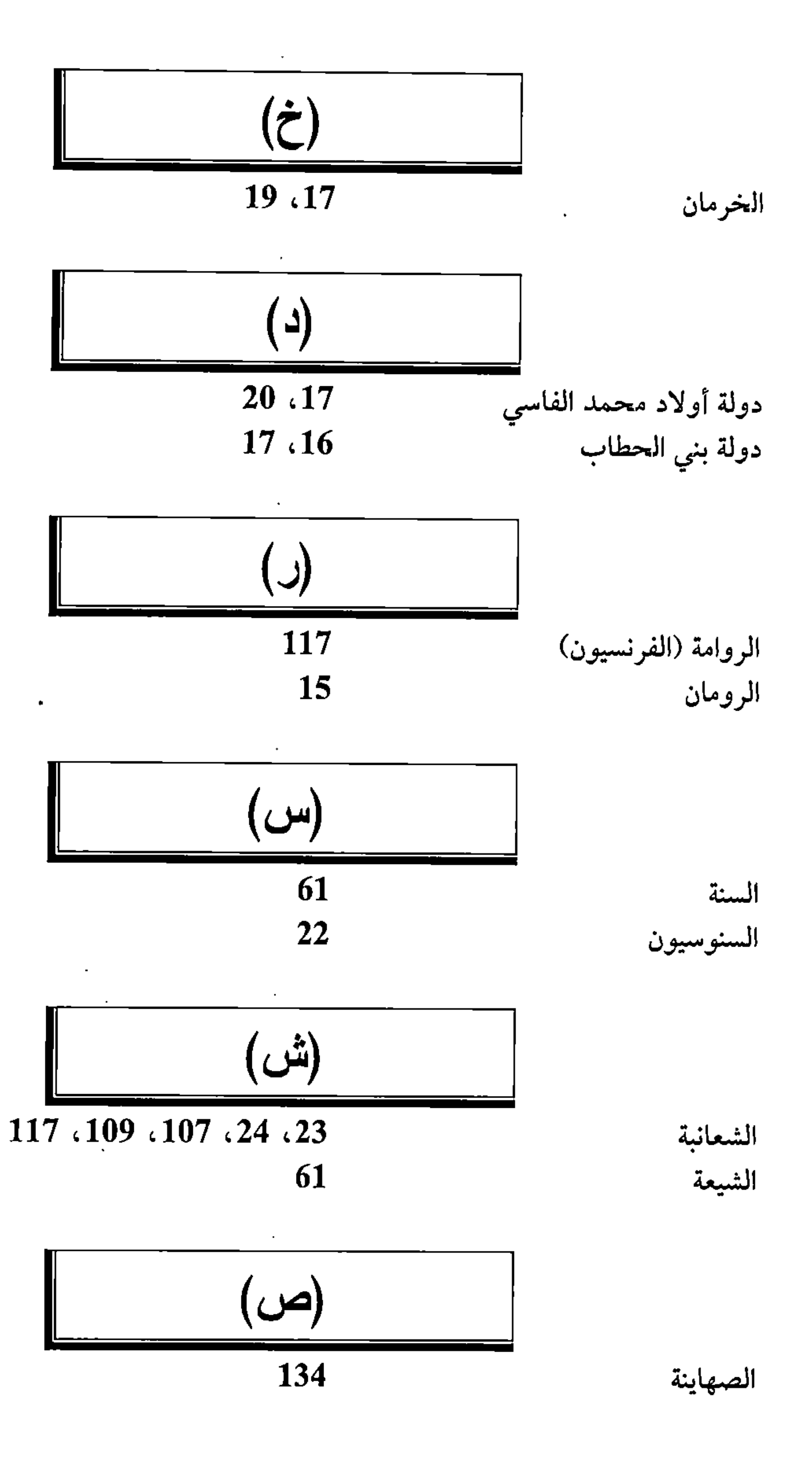
## (ب)



## (ج)



## (ح)



## (ط)



## (ف)



## (ق)

(ل)



(م)



(و)



(ي)

# فهرس الأماكن والأحياء والمساجد*

## (أ)



## (ب)



* (ال) التعريف لم تعتبر في الأماكن.

## (ت)

## (ج)



## (ح)

## (خ)



## (د)



## (ر)



## (ز)

## (س)

## (ق)

## (ك)



## (م)

## (ن)



## (هـ)



## (و)

# فهرس الوقائع والحملات والمعارك

## (أ)



## (ث)



## (ح)

## (غ)

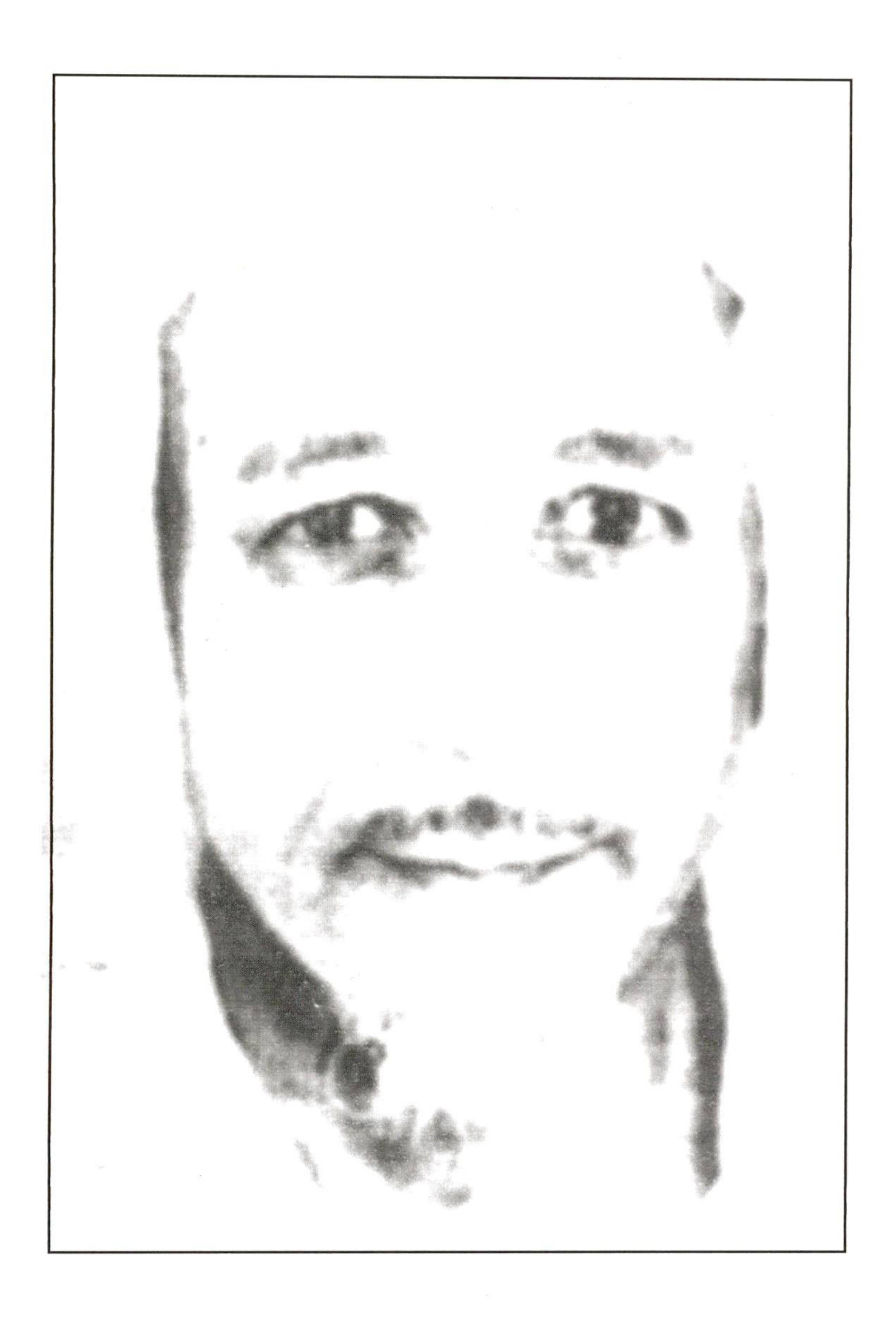


## (ف)



## (م)

## المحتويات



# المجاهد الشهيد
# عبد القادر بن مسعود الفيجيجي





ISBN 9959-23-106-2




Designed by R .Sedik

مطابع المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
سوريا - حلب - المسلمية - المنطقة الحرة